كتاب الخطابة لأرسطو وأثره في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الجاحظ نموذجًا

*هدى قزع، يوسف بكار، زياد الزعبي**

ملخص

تأثير كتاب الخطابة لأرسطو في التراث النقدي والبلاغي موضوع يشوق للبحث؛ لقيمة هذا الكتاب، فهو ما زال على بعد غور زمن تأليفه منبعًا للأفكار القيمة في النقد الأدبي، وكثير من الأفكار التي عرضها أرسطو فيه ما زالت تحمل طابع الجدّة وتتردد في كلام النقاد حين يقررون أصول النظرية الأدبية، مثل عناصر الحقيقة الأدبية "الأديب، والنص، والمتلقي"، والصورة، والوزن والإيقاع، والتناسب، والنظم، والغرابة، والغموض والوضوح، فهذه فِكَرٌ من الأفكار الخالدة في التراث النقدي، لا تزال تتناول بالدرس وتؤلف فيها الكتب.

ولست أريد بهذه الإشارات الموجزة أن أقف موقف الشارحة أو المحللة لأفكار أرسطو في كتاب الخطابة، وإنما أسوقها لبيان ما لهذا الكتاب من قيمة تحفز الباحثة إلى متابعته في رحلاته بين الأجواء المختلفة، لاسيما إذا كان من هذه الأجواء الجاحظ وكتبه في البيان والبلاغة والنقد.

فكيف فهم الجاحظ هذا الكتاب؟ أتراه فهمه لكنه حاد عن تقليده في مؤلفاته؟ أم تراه وجه أفكار الكتاب بما يتواءم مع حضارته؟ أم تراه فهم بعض أفكاره العامة؟ أم تراه لم يفهمه على الإطلاق؟ هذه أسئلة تستثير الذهن. على أنه سواء أكان قد فهم كتاب الخطابة أم لم يفهمه فمن الواجب أن ندرس صورته عنده، ما دام قد عرف له صورة ما. وأعني بالدرس هنا ألا أقف عند حدود الحكم بالفهم أو عدم الفهم للكتاب الأصلي، بل أُعنى بالأفكار الخاطئة والمنحرفة والمتجاوزة مثلما أعنى بالأفكار الصحيحة والأصلية، ما دامت تصور تأثير الكتاب في ذهنه، أي أنني بدلًا من أن أسأل: أفهم أم لم يفهم؟ أسأل: كيف فهم؟

ويبقى السؤال المحوري: هل أثر كتاب الخطابة في الجاحظ؟ وما مظاهر هذا التأثير إن كان؟

وتكون الإجابة عن مثل هذا السؤال بالتحليل الموضوعي لنصوص الجاحظ التي اتصلت اتصالًا وثيقًا في كتاب الخطابة وترجماته.

وعند تحديد مواطن الاتصال والتأثر قد ينزع الباحث إلى التعميم المطلق أو إلى التخصيص المطلق، فالتعميم المطلق كأن يبحث مثلًا عن تصور الجاحظ للخطابة وصلته بكتاب أرسطو؛ والتخصيص المطلق بأن يتناول موضوعات جزئية في كتب الجاحظ فيحاول بيان وجه اتصالها بذلك الكتاب.والمنهج الصحيح ألا ينزع الباحث أحد المنزعين أو يتوسط بينهما، إلا إذا دله التتبع على نوع التأثير وكونه جزئيًا متفرقًا أو كليًا شاملًا أو متوسطًا بين ذلك. ويبقى الحكم في هذه القضية غير هين لما يتطلبه من جمع ما كتبه الجاحظ في مؤلفاته، ثم تنظيمه، ثم تحليله ودرسه، واستخلاص النتائج منه، ومن ثم تبين الإشارات التي يمكن أن يوصل نسبها بكتاب الخطابة.

وطأ البحث لإشكالية تأثر الجاحظ بخطابة أرسطو، وبعد أن فرغ من ذلك عُني ببيان معرفة الجاحظ بيونان وبلاغتها، ومنطقها ومنه كتاب الخطابة، وحاول بعدها استكناه الصلة الناظمة بين نص الجاحظ وخطابة أرسطو من خلال الدراسة النقدية المقارنة.

وفي الخاتمة أبرز البحث جملة من النتائج التي أظهرت طبيعة هذا التأثر وظروفه ومداه.

الكلمات الدالة: الخطابة، أرسطو، التراث النقدي، الجاحظ.

(1) الجاحظ وخطابة أرسطو

إشكالية التأثر

كان تأثر الجاحظ (ت 255هـ) بأرسطو وخطابته موضع خلاف كبير بين الدارسين، لاسيّما أنّه هو رأس البيان العربي ومؤسسه كما اشتهر، وحسب بعضهم أننا إن قلنا بتأثره، فإننا بصورة أخرى نقرّ بفضل بلاغة اليونان على بلاغة العرب، وفي هذا تعارض مع ما اشتهر به العرب واختصوا فيه من البيان.

لذلك اتجه شوقي ضيف وغيره من الدارسين[1] إلى أن كتاب الخطابة لأرسطو لم يترجم في زمنه، وأنه بعيد عن التأثر به، وثمة ما ينقض هذا التوجه؛ لأنه وصلت إلينا ملخصات عن خطابة أرسطو، لمؤلفين عرفهما الجاحظ ونقل عنهما أخبارًا أعني ابن فهريز والكندي. يرون، كذلك، في عدم

* كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء؛ وكلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن. تاريخ استلام البحث 2012/5/27، وتاريخ قبوله 2013/2/26.

© 2014 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

تصريحه بنقله عن الخطابة، وتلقيبه لأرسطو بصاحب المنطق في البيان والتبيين[2]، وزعمه بتخلف اليونانيين عن العرب والفرس في الخطابة أدلة أخرى على عدم تأثره[3] وقد عدّ طه حسين زعم الجاحظ شيئًا من "المجازفة الساذجة لا يخلو من التفكهة"[4].

ونحن نعلم أن مطالبة عالم موسوعي مثل الجاحظ برد كل رأي لصاحبه، في مؤلف كالبيان والتبيين – لم نجد فيه اطرادًا في نسبة الأقوال لأصحابها – مطالبة غير مشروعة أمام استطراد الجاحظ واتساعه الثقافي. أما تلقيبه لأرسطو بصاحب المنطق فإنه لم يكن متفردًا فيه إذ نجد هذا التقليد عند غيره، وكتاب الخطابة جزء لا ينفصل عن هذا المنطق، والعرب تلقوا كتاب المنطق بأجزائه المتفرقة بنسق متكامل، وأقبلوا على تهذيبه لصعوبته مثلما فعل ابن بهريز، الذي يبدو أن الجاحظ قرأ تهذيبه للمنطق كاملًا، وقد أبدى رأيه فيه[5] بأنه لم يكن وافيًا.

أما زعمه بتخلف اليونانيين عن العرب في الخطابة فإنه لا ينفي التأثر، فهو لم يطلق مثل هذا الحكم إلا لأنه قرأ في خطابة اليونان والفرس، ولم يجد فيها ما يمكن أن يسجل لهذه الأمم. ومن الطبيعي أن يصرح بمثل هذا الحكم في سياق دفاعه عن العرب أمام هجمات الشعوبيين على العرب وإدعاءاتهم بتخلف العرب عن غيرهم من الأمم في الخطابة.

ويميل أحمد مطلوب إلى أن الجاحظ كان عربيًا في منهجه وآرائه، ونقله عن اليونانيين لا يعني تأثره[6]، وفي هذا الميل بعض الحق لأنه لم يبن بلاغته على قواعدهم، وغالبًا ما استقصى وجهته البيانية من كلام العرب،لكن هذا النفس العربي لا يمنع التأثر، لأن التأثر بالآخرين لا يقتضي المطابقة بطبيعة الحال.

ويتخذ محمد عبد المنعم خفاجي وجهة مقاربة حين يرى أن ما نقرؤه عند الجاحظ لا يدل على تأثره بخطابة أرسطو، بل يرجع إلى أفكار عامة عند الأمم، أو يُلمح إلى نقله عمّن ألموا بثقافة اليونان وكتاب الخطابة[7]، فهو لم يتصل اتصالًا مباشرًا بهذه الثقافة.

ثمة آراء أخرى تنبىء عن تأثر الجاحظ بأرسطو، في كتبه المنطقية عامة،والفلسفة اليونانية، وقراءته كتبهم، ومشافهته علماء الكلام الذين تعلموا هذه الكتب[8]، أوتأثره بكتاب الخطابة على وجه الخصوص. يرى محمد عبد الحميد أن الجاحظ "اعتمد على كتاب أرسطو ريطوريقا، وكانت كتب أرسطو شائعة في دكاكين الوراقين"[9]. ويقر نجيب محمد البهبيتي إقرارًا عجيبًا حين يقول: " لقد كان الجاحظ يعرف اليونانية والفارسية"[10]، وكتاب الخطابة كان معروفًا عنده[11]، بمعنى أنه لم يتأثر حسب بكتاب الخطابة وإنما اطلع عليه في لغته الأصل.

ومثله سيد نوفل [12] الذي يرى أن كتاب البيان والتبيين " ألف معارضة لخطابة أرسطو"، دليله على ذلك ان "كتاب البيان دار حول الخطابة[13] في عصر خمدت فيه الخطابة" وهو رأي مردود لا دليل على صحته من جهتين أولاهما، أن مفهوم المعارضة لا ينطبق على ما نهض به الجاحظ في عمله الموسوعي البيان والتبيين الذي لا يقتصر على فن الخطابة ولا على كلام اليونانيين أو مناقشتهم[14]. والأخرى: أننا لا يمكن أن نسلم بخمود الخطابة في عصر مثل عصره الذي عدّ ذروة في تقدم هذا الفن، لما أملته الظروف السياسية والدينية فيه من الاهتمام بها، واتخاذها وسيلة للإقناع وبث الآراء.

ويذهب إبراهيم سلامة، ومجيد عبد الحميد ناجي [15]إلى أن الجاحظ اطلع على كتاب الخطابة وقرأه؛ ذلك أن مترجم كتاب الخطابة هو حنين بن إسحاق، مما يعني أن الكتاب كان معروفًا في زمنه.

إننّا، وإن كان الكتاب معروفًا في زمن الجاحظ، لا نسلم معهما أن مترجمه هو "حنين"، لأنه لم يثبت ذلك في كتب التراجم، ولم ينقل هذا الخبر أي من القدماء. ونرجح أن الجاحظ اطلع على هذا الكتاب لأنه كان معروفًا، وخاصة عن طريق ابن فهريز(183هـ) الذي قدّم ملخصًا له في "حدود المنطق"[16]، والكندي في إحدى رسائله[17]، لذلك نجد أننا لا نقع عنده على تأثر كامل بخطابة أرسطو، وإنما هي شذور متفرقة، لا يمكن أن ننفي التأثر لأنها جاءت على هذه الصورة.

معرفته باليونان وبلاغتهم

أتى الجاحظ في مواطن عدّة من كتبه على ذكر اليونانيين وكتبهم وآرائهم[18]، وأشاد في رسائله أن اليونانيين قد برعوا في الحكم والآداب وأنهم نظروا في العلل[19]، واستخرجوا الآلات والأدوات الفلكية، والزراعية والحرفية ، والحربية ولم يكونوا قد برعوا في هذه الصناعات، إذ عرفوا أدوات الصناعة فحسب وعنوا بالمرافق[20]. وقد كانوا "أصحاب حكمة ولم يكونوا فعلة"؛ "ويرغبِّون في العلم ويرغَبون في العمل". وهم " يعرفون الفلك"[21].

ونفى أن يكون للنصارى والروم حكمة أو بيان أو بُعد روية تدخلهم في حدود الأدباء، أو الفلاسفة والحكماء، لأنّ حكمتهم قائمة على السحر والكهانة. واللافت حقًا أنه أتبع هذا النفي بقوله: "لأن كتاب المنطق والكون والفساد، وكتاب العلوي، وغير ذلك، لأرسطاطاليس، وليس برومي ولا نصراني، وكتاب المجسطي لبطليموس، وليس برومي ولا نصراني، وكتاب إقليدس

لإقليدس، وليس برومي ولا نصراني[22]. وكتاب الطب لجالينوس، ولم يكن روميا ولا نصرانياً. وكذلك كتب ديمقراط وبقراط وأفلاطون، وفلان وفلان. وهؤلاء ناس من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم[23]، وهم اليونانيون، ودينهم غير دينهم، وأدبهم غير أدبهم، أولئك علماء، وهؤلاء صناع أخذوا كتبهم لقرب الجوار، وتداني الدار، فمنها ما أضافوه إلى أنفسهم، ومنها ما حولوه إلى ملتهم. إلا ما كان من مشهور كتبهم، ومعروف حكمهم، فإنهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا أن اليونانيين قبيل من قبائل الروم، ففخروا بأديانهم على اليهود، واستطالوا بها على العرب، وبذخوا بها على الهند، حتى زعموا أن حكماءنا أتباع حكمائهم، وأن فلاسفتنا اقتدوا على أمثالهم، فهذا هذا"[24].

يعكس النص تأكيده الفرق بين أمة اليونان وأمة الروم، فالأولى أمة بادت ولم يبق سوى آثار عقولها، والأخرى أمة ذات ملك ورثت آثار اليونان الفكرية "لقرب الجوار وتداني الدار"، لكنه لا يقر بالفضل لأمة الروم. التي تفاعلت مع الفكر اليوناني حين أضافت بعضه إلى نفسها، وحولت بعضه إلى ملتها. وفي رأيه إن تفاعل الروم مع الفكر اليوناني أمر تاريخي لا ينكر، لكنه تفاعل أساء إلى الفكر اليوناني الموروث وأدخل عليه مقولات الزندقة والدهرية.

وهذا التصريح من الجاحظ أتاح لروزنتال القول "فالمسلمون، إذًا، في رأي الجاحظ، مدينون ثقافيًا وحضاريًا لليونانيين القدماء لا للروم المسيحيين"[25]. وهو في هذا يحرف النص الجاحظي بما يخدم رؤيته، فالجاحظ لم يصرح بأن أمته مدينة لليونانيين أو لغيرهم من الأمم، بل أراد بيان زيف الروم الذين أعلت الشعوبية من شأنهم، وعيّرت العرب بما لديهم من الفنون، فالروم في واقع الأمر، هم المدينون حضاريًا لليونان لا العرب.

وقد دفع قصره للأدب والحكم والأخلاق –على أربع من الأمم لم يكن من بينها اليونان– الدارسين إلى القول إنه لم يكن على علم باليونان ولم يتأثر بهم، إذ قال: "وقد ذكرنا ان الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم أربع وهي العرب، والهند وفارس، والروم"[26]. إلا انني أرى أنه كان ذكيًا، ويشير في قولته إلى زعم الروم أن اليونان قبيلة من قبائلهم، ويؤكد هذه الرؤية النصوص التي ترد في متن كتبه،و تقر بوجود الحكمة لليونان.

ثمة مواضع في ما كتبه الجاحظ يُحتمل أنها تعبر عن عدم إعجابه بطريقة اليونانيين، أولها: ذكره لديسيموس اليوناني في باب النوكى والمجانين. يقول: "فأما ديسموس فكان من مُوسوِسي اليونانيين، قال له قائل ما بال ديسموس يُعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله، قال مثله مَثَل المِسَنِّ الذي يَشْحَذُ ولا يقطع"[27].

وهذه لفتة من الجاحظ، تسلط الضوء على ما كان يؤخذ على اليونانيين عامة من أنهم أصحاب صناعة لا ابتداع، فديسموس كان يعلم الناس الشعر ولا يستطيع قوله. ولا يعيبه الجاحظ لأنه لا يقول الشعر، بل لأنّ قوانينه في الشعر تعجز أن تجد لها تمثلًا في الواقع؛ فالشعر موهبة ولا يعلم إلا إذا كان نظمًا.

ومن المواضع الأخرى قوله: "ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكيء اللسان، غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه، وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس ولم يذكروه[28] بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة "[29].

فهو يصرح أن لليونانيين فلسفة، وأن لهم صناعة في المنطق، إلا أنه لا يبدي إعجابًا بهم، ولا يقيم لهم وزنًا أو تفضيلًا على غيرهم. ويصف أرسطو بأنه عالم بالتفاصيل الدقيقة للكلام، وخصائصه، ومعانيه إلا أنه لم يقوّم بمنطقه، الذي وضعه لتقويم اللسان، منطقه، ولا يمكن أن نصفه بالبيان. فهو يمتلك الآداة ويعجز عن استعمالها وتوظيفها. ونتساءل كيف حصلت للجاحظ هذه المعلومات الدقيقة عن أرسطو، ومن أي طريق عرف علمه بتمييز المنطق؟

ويرد في كتاب البرصان والعرجان نص يصف أرسطو شكليًا وقد نقله الجاحظ عن شيخه أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وفيه "كان أرسطاطاليس أحمر أزرق"[30]. ومن المحتمل أن شيخه هو أحد مصادره في معلوماته المستقاة عن أرسطو.

ولو رجعنا إلى المواضع التي يبحث فيها أرسطو تمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه لرأينا أن مكانها كتب المنطق لأرسطو لا سيما العبارة، والمقولات، والبرهان، والخطابة، والشعر، وأغلب كتب المنطق نقلت إلى العربية أو لخصت وشرحت قبل الجاحظ أو في حياته.وقد ذكر على لسان الشعوبيين: "وهذه يونان ورسائلها وخطبها وعللها وحكمها وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب"[31]. مما يوحي أن نفيه أن تكون لليونانيين خطابة ورسائل وحكم، جاء ردًّا على ادعاءات الشعوبية. وهذا النفي لا يعني أنه لم يعرف كتاب الخطابة، لأنه يقر بمنطق يونان، والخطابة جزء من كتاب المنطق، وإنما قد يعني أنه لم يعاين نصوصًا فنية لخطباء اليونان.

وأما ملاحظته أن ما أذيع من معرفة جالينوس للبيان هو وهم؛ لأنه لا ذكر له مع الخطباء فينبغي ألّا نمر عليها دون

الالتفات إليها، فلو راجعنا كتاب الخطابة لأرسطو لا نجد ذكرًا لجالينوس، ولا أي إشادة بجهده في الخطابة[32]، مع أن أرسطو أشاد بغيره، أقرأ الجاحظ كتاب الخطابة واستقى ملاحظته تلك بناء على ما قرأ أم أنه مجرد رأي اعتمد فيه على سماع أو تدوين خاص في الخطابة عند اليونان؟

كثيرًا ما ربط الجاحظ حديثه عن البيان بالمنطق، فذكر صاحب المنطق لمّا تحدث عن دور الأسنان في البيان واستقى قوله من كتاب الحيوان لأرسطو ووافقه عليه[33]، وتحدث عن اللكنة وربطها بقلة حظ صاحبها في المنطق[34]. وأورد قولًا يربط "حسن المنطق" بـ "حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام"[35]. وأبان عن تعريف صاحب المنطق للإنسان، هو: "حد الإنسان الحي الناطق المبين" في سياق حديثه عن البيان والعي، مجتمعًا مع قول لسهل بن هارون "العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم"[36] الذي لا يخلو من صبغة فلسفية كسابقه.

تجدر الإشارة إلى أن ثمة ملاحظات للجاحظ وتصورات خاصة حيال المنطق الأرسطي، تظهر أنه لم يلتزم فيه التزامًا تامًا، وأنه مدرك لخصوصية البيان العربي.

من هذه الملاحظات ما رواه أبو شمر عن معمر أبي الأشعث في الإشارة والحركة عند الخطبة، وعند منازعة الرجال ومناقلة الأكفاء، حيث كان "إذا نازع لم يحرك يديه، ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه، حتى كأنّ كلامه إنما يخرج من صدع صخرة، وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك وبالعجز عن بلوغ إرادته، وكان يقول ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره حتى كلمه إبراهيم بن سيّار النظام عند أيوب بن جعفر، فاضطره بالحجة وبالزيادة في المسألة حتى حرّك يديه وحل حبوته وحبا إليه حتى أخذ بيديه"[37]. فقول أبي شمر: "ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره" يماثل قول أرسطو في الخطابة" أي شيء آخر إلى جانب البرهان يعد فضولًا ونافلة"[38]. وقد عدّ هذا القول أساسًا نهضت عليه المقالة الثالثة من الكتاب، ولعل محاولة التجرد من الأسس الأرسطية، جلية في هذا القول الذي أظهر أن رأي المتكلمين في الإشارة ودورها في الإقناع والحجة لم يبق أسيرًا للمنطق الأرسطي وقوانينه.

منها ما جاء في إطار إقراره بأهمية المنطق ودراسته، ولا ننسى أن الخطابة جزء من المنطق، يقول: "قلنا في الحاجة إلى المنطق، وعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه، وكيف صار أعم نفعاً، ولجميع هذه الأشكال أصلاً وصار هو المشتق منه"[39]. وقد جاءت قولته هذه في سياق حديثه عن الإيجاز والإطناب، إلا انه أخذ على صاحب المنطق "أرسطو" إطالته وتفريعه في منطقه، بما أعجز الناس عن فهمه، ويتمنى لو أنه فسره، ويرى أنه " لو جَهِد جميعُ أهل البلاغة أن يُخبروا من دونهم عن هذه المعاني بكلام وجيز يُغْني عن التفسير باللِّسان، والإشارة باليد، والرأس لما قَدَرُوا عليه، وقد قال الأوّل: إذا لم يكنْ ما تُريدُ، فأرِدْ ما يكون، وليس ينبغي للعاقل أن يسُوم اللُّغاتِ ما ليس في طاقتها ويسومَ النُّفوس ما ليس في جِبلَّتها، ولذلك صار يحتاجُ صاحبُ كتاب المنطق إلى أنْ يفسِّره لِمَنْ طَلَب مِنْ قبَلِه علم المنطق"[40].فيبدو أن الجاحظ يُحَمِّل أرسطو صعوبة ما خطه في منطقه، إذ بث للمتلقين العرب ما ليس في طبعهم ولا لغتهم، فصار منطقه غريب القول والطباع، وهذه المقابلة بين عجز جمع من أهل البلاغة عن تبليغ المراد، وصاحب المنطق خير دليل على ما كان يتنكبه متلقو المنطق الأرسطي من مشقة وعناء في القراءة، وصعوبة في الفهم.

لم ينكر الجاحظ معرفته بالمنطق الأرسطي حيث قال: "وقد علمنا نحن على حداثة أسناننا وتقادم الناس قبلنا، أنّ جالينوس قد كان بائنًا في طبه، وأنّ الأرسطاطاليس كان البائنَ في المنطق"[41]. ومع هذه المعرفة ظل واعيًا أن البيان العربي يتمتع بخصوصية لا يمكننا أن نطبق عليه قواعد الآخرين في فنونهم، لذلك حاول في غير موضع استنتاج دلالة المنطق من القرآن، ثم أورد التعريف الذي نسبه إلى صاحب المنطق، دون ذكر له واستبدل قوله الآتي به: "قالوا: الإنسان هو الحيُّ الناطقُ"[42]. وأشار إشارة ضمنية إلى أنه لا يحسن تطبيق المنطق وقوانينه على القرآن الكريم، لأنّه في رسالته في ذم أخلاق الكتاب، استنكر على ابن المقفع وغيره أنه "لا يرتضى من الكتب إلاَّ المنطق"لذلك كان" أوّل بدْوه الطعن على القرآن في تأليفه، والقضاء عليه بتناقضه"[43].

وذهب أحد الباحثين[44] إلى أن الجاحظ كانت نزعته جدلية وأنه متأثر بأرسطو فيما خطّه في هذا الجانب. إلا انني أرى أن مفهوم الجدل عنده يفارق ما ذهب إليه أرسطو في الخطابة؛ فهو عند أرسطو قياس قائم على مقدمات غير يقينية أو احتمالية، ومن أبواب المنطق. أما عند الجاحظ فهو أسلوب من أساليب البحث للتمييز بين الباطل والحق، والخطأ والصواب. يؤيد هذا ملاحظته على شيخه النظام الذي " كان يظنُّ (الظن) ثمَّ يقيس عليه، وينسى أنَّ بدءَ أمرِه كان ظَنّاً، فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ جَزَم عليهِ وحكاهُ عن صاحبه، حكايَةَ المستبصر في صحَّة معناه ولكنّه كان لا يقول سمعت ولا رأيت، وكان كلامُه إذا خرج مخرج الشَّهادةِ القاطعة لم يشُكَّ السامعُ أنَّه إنَّما حكى ذلك عن سماعٍ قد امتحنه أو عن معاينةٍ قد بهرته"[45]. وهذا الحكم ينطبق على مصطلحات أخرى لا سبيل إلى التفصيل فيها من مثل المنطق والبرهان، والاستدلال، والقياس[46]. وفيها

اتخذ الجاحظ موقفًا دينيًا، ولم يخضعها لأشكال الفكر الصورية المجردة.

ويميل أحيانًا إلى استعمال "اللفظ المنطقي" اليوناني في كتاب الحيوان[47]، فمثلًا في حديثه عن ترجمة كتب الدين، أشار إلى ضرورة تصحيح المعاني، ومعرفة العام والخاص، والأوجه واحتمالاتها، والصدق والكذب والمحال، ولا بدّ للمترجم من معرفة " بأن المقدمات لا بدّ أن تكون اضطرارية ، ولا بدّ أن تكون مرتبة"[48]. وأقر أن ابن البطريق وابن قرة لم يفهما هذا المبدأ "من معلِّمٍ رفيقٍ، ومن حاذقٍ طَبٍّ". ولا ريب أنه يعني في قوله: "المعلم" أرسطو. ثم أشار بعناية ولطف إلى ملاحظة دقيقة تتصل بترجمة البلاغة اليونانية إلى العربية، وما رافقها من تحريف وتزييف يرجع في المقام الأول إلى الجهل باللغة المنقول منها، وكثرة النسخ المحرفة، وهو يتمثل في هذا المقام حال اليوناني لو قرأ البلاغة اليونانية في حلتها الجديدة بعد الترجمة، فلا بدّ أنه يستنكر الكثير مما يقرؤه لبعده عن الأصل، وهذا بطبيعة الحال يتجاوز عنه بحيث "لو كان الحاذقُ بلسان اليونانيِّين يرمي إلى الحاذق بلسان العربيّة، ثم كان العربيُّ مقصِّراً عن مقدار بلاغة اليونانيّ، لم يجد المعنى والناقل التقصير، ولم يَجِد اليونانيُّ الذي لم يرضَ بمقدار بلاغته في لسان العربيّة بُدّاً من الاغتفار والتجاوز، ثمّ يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين وذلك أن نسختَه لا يَعدَمها الخطأ ثمَّ ينسخُ له من تلك النسخة مَن يزيده من الخطأ الذي يجده في النسخة ثمّ لا ينقص منه ثم يعارِض بذلك مَن يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله إذا كان ليس من طاقته إصلاحُ السَّقَط الذي لا يجدُه في نسخته"[49]. وفي هذا المقام يدعو إلى ضرورة البسط والإيجاز لمن ينقل المعرفة من لغة إلى أخرى، لأنّ "النَّاسَ كلَّهم قد تعوَّدوا المبسوطَ من الكلام وصارت أفهامُهم لا تزيد على عاداتهم، إلا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها، ألا تَرَى أنَّ كتاب المنطق الذي قد وُسم بهذا الاسم لو قرأتَه على جميعِ خطباء الأمصار وبلغاءِ الأعراب لما فهموا أكثرَه"[50].

ولنا على هذا القول وقفة وتساؤل. لماذا خص الخطباء والبلغاء في اختياره لحل مأزق التعقيد والصعوبة التي يكتسي بها كتاب المنطق؟ أيعني أنه عرف كتاب الخطابة الذي هو أحد أقسام المنطق، ولكنه لم يفهم أكثره، ليس لعجز منه ولا من الخطباء العرب، بل لأن الفهم يتجه إلى المعتاد لا سيما إن تعلق الأمر بالبلاغة أم أنه كان لكتاب المنطق سطوة ما في ذلك الزمن بما حفز الشعوبيين على النيل من العرب في بلاغتهم ومنطقهم، وكان على الجاحظ أن يرد هذه الدعوات الهدَّامة، وأن يضع الأمور في ميزانها الحقيقي؟ فالعرب عرفت كتاب المنطق ومنه الخطابة، مثلما عرفت غيره من الكتب المؤلفة، لكنهم عجزوا عن الفهم لسوء الترجمات وبعدها عن الواقع العربي.

ولا يكفي الإيجاز ولا الاختصار الذي شاع في زمن الجاحظ لتلك الكتب. فها هو يصف كتاب إقليدس فيقول إنه فيه كلام يدور: "وهو عربيٌّ وقد صُفِّي ولو سمِعه بعضُ الخطباء لما فهمه، ولا يمكن أن يفهِّمه من يريد تعليمه لأنَّه يحتاج إلى أن يكون قد عرَف جهةَ الأمر، وتعوَّد اللفظ المنطقيَّ الذي استُخرِج من جميع الكلام"[51]. إنّه يشير إلى ضرورة معرفة منابع القول وأصوله فمثلًا مبادىء البلاغة اليونانية مستصفاة من نصوص يونانية، لا تنبت عن الواقع اليوناني بكل ما يشتمل عليه، والمتعلم لمعارف غيره لا بدّ أن يلمّ بالثقافة الجديدة وأحوالها، وأن يدرك الطريقة المنطقية التي يمكن أن تفك غموض هذا الجديد وتكشفه.

ويروي الجاحظ في البيان والتبيين تعريف أحد اليونانيين للبلاغة، فيقول: "وقيل لليوناني ما البلاغة قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام"[52]. وهذه رواية أخذها عن كاتبين هما: محمد بن حسان، ومحمد بن أبان، ويبدو أن مصدرهما هو كتاب "آداب الفلاسفة لحنين بن إسحق". حيث جاء فيه ذكر هذه الرواية وفيها: "اجتمع أربعة نفر من الفلاسفة – يوناني وهندي ورومي، وفارسي – في مجلس لوقانيوس الملك، فسألهم عن البلاغة ما هي:

فقال اليوناني: البلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

قال الفارسي: البلاغة معرفة الفصل والوصل.

قال الهندي: البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقال الرومي: البلاغة حسن الاقتصار عند البداهة، والهدارة[53] يوم الإطالة.

ففضل الملك قول اليوناني"[54].

والطريف في هذا السياق أن الجاحظ لم يعر قولَ حنين بن إسحاق اهتمامًا، بل نجده يأتي بأقوال لأهل الهند في مفهوم البلاغة بعد الرواية المذكورة. ونرى أنه تعمد هذا إما لأنه لم يقنع بجودة هذا الحد للبلاغة وأنه لا يمكن تطبيق معايير الآخرين على بلاغة العرب، وإما لأنه يرى أن حد العرب للبلاغة أتم وأشمل وأنه لا قيمة لمزاعم الشعوبيين التي فضّلت البلاغة اليونانية على العربية.

ومن الملاحظ أنه في كلامه على الصحيفة الهندية، يتحدث عن البلاغة بمعنى الخطابة، وأن في الحد اليوناني للبلاغة حضورًا في بلاغة المتحدث الهندي، من مثل الحديث عن اختيار اللفظ والمناسبة، بما قد يشي أن الثقافات قد تلتقي في

بعض تصوراتها للفنون، وأن العرب في تفاعلها مع الآخرين تتكافأ مع غيرها من الأمم في سنة التفاعل والتحاور، وأن هذا ديدن الأمم مهما افترقت وتباعدت.حيث جاء فيها " ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيمًا أو فيلسوفًا عليمًا، ومن قد تعود حذف فضول الكلام، وإسقاط مشتركات الألفاظ قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة، لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والتظرف" [55]. مما يومىء أن المنطق والفلسفة لا يتعارضان مع البلاغة والحدود المرسومة لها في ثقافة الهنود، فلماذا يُستنكر إذًا تأثر العرب بالحكمة المنطقية، ولا يستنكر عند غيرهم من الأمم؟

وهل على الجاحظ من حرج حينما يقول: " ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ في كتبها، وخلَّدت من عجيبِ حكمتها، ودوَّنت من أنواعِ سِيَرِها، حتَّى شاهدنا بها ما غاب عنَّا، وفتحنا بها كلَّ مستغلق كان علينا، فجمَعنا إلى قليلنا كثيرَهم وأدركنْا ما لم نكن ندركُه إلاّ بهم لقد خَسَّ حظنا من الحكمة ولضعُف سبَبُنَا إلى المعرفة ولو لجأنا إلى قدر قوَّتِنا ومبلغ خواطرِنا ومنتهى تجارِبنا"[56]؟!

ثمة من قرأ هذه القولة على أنها إقرار منه بفضل اليونان[57]، وأن العرب مدينون لهم بالفضل ، وهي قراءة أحادية خاطئة، لأنه لم يخص اليونانيين بشيء، بل جاء قوله عامًّا فهو عرف اليونان وغيرهم من الأمم، وقوله الأوائل يقصد به كل من سبقه وقد عرف عنه ومنه شيئًا.وهو قول يحمد له، ويظهر تواضعه واعترافه بفضل الآخرين. ويحضرني في هذا المقام قوله في بداية كتابه الحيوان: " وهذا كتابٌ تستوي فيه رغبةُ الأُمم، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَم ؛ لأنه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابياً وإسلاميًّا جماعيًّا، فقد أخَذَ من طُرَفِ الفلسفة، وجمع بين معرفةِ السماعِ، وعلْم التجربة وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنة، وبينَ وِجْدان الحاسَّة وإحساس الغريزة"[58]. وهو يدل على وعي منه على ان المعرفة الإنسانية لا حدود لها، وأن ما تجتمع عليه الأمم أكثر مما تفترق، والتشابه لا يعني النقل ولا النسخ عن الآخر، بل يعني التفاعل. وتدل هذه القولة أيضًا على موسوعيته، وعلى تنوع طرائقه في أخذ المعرفة، وهمه في أن يقدم مؤلفًا جماعيًا يختص بالثقافة العربية الإسلامية الشاملة. قال في موضع آخر: "وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم في الدين، والحكم في الصناعات... حديثُهم كقديمهِم، وأسودُهم كأحمرهِم، وبعيدُهم كقريبهم والحاجة إلى ذلك شاملَة لهم... وقد.. تُرجمتْ حكم اليونانيّة... فبعضها ازدادَ حُسناً، وبعضها ما انتقص شيئاً، ولو حوّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجزُ الذي هو الوزن مع أنَّهم لو حوَّلوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكرْه العجم في كتبهم"[59].

فهذه الموازنة التي يقيمها الجاحظ بين الحديث والقديم، والناس على اختلاف ألوانهم، وتباعد بلدانهم، خير دليل، على دعوته إلى عالمية الأدب والمعرفة الإنسانية، لا سيما إن تعلق الأمر بالحكمة، ومع هذا فإنه لا ينفي الخصوصية عن حكم العرب فهو يرى أنها مبثوثة في النثر والشعر وإن نقلت فإنه من الصعب الحفاظ على الوزن الخاص الذي يميز العرب عن غيرهم، في حين أن حكم اليونانيين يسهل نقلها فهي إما أن تنقل حرفيًا كما هي، وإما أن تزداد حسنا تضفيه عليها اللغة المنقولة إليها وهي العربية.

ثمة نص آخر قد يقرأ قراءة تختص باليونان هو " قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له: إنَّ التَّرجُمان لا يؤدِّي أبداً ما قال الحكيمُ على خصائِص معانيه وحقائق مذاهِبه...فمتى كان رحمه اللّه تعالى ابنُ البِطريق، وابن ناعمة، وابن قُرَّة، وابن فِهريز، وثيفيل،وابن وهيلي وابن المقفَّع، مثلَ أرسطاطاليس، ومتى كان خالد مثلَ أفلاطون"[60]. فالحكيم لفظ اشتهر به أرسطو، وكان الأثر العقلي مُغلّبًا على ما سطره من كتب، والترجمة العربية لمؤلفاته لم تظهر مذهبه الفكري، ولم تنقل معانيه المبتغاة. ينبغي في هذا المقام أن نلفت إلى أن أكثر الأسماء التي أوردها الجاحظ تتصل بالمنطق الأرسطي وترجماته، ونذكر على وجه الخصوص ابن فهريز، وابن ناعمة، اللذيْن لهما مؤلفات في الخطابة الأرسطية فهل عاينها الجاحظ، وبناء على هذه المعاينة، أصدر حكمه النقدي، على الترجمة العربية القديمة للخطابة التي شوهت الشعر وجعلت منظومه منثورًا كما أوضحنا سابقًا؟

ثمة قولة أخرى للجاحظ تصف هذه الكتب فتقول: " وكلُّ شيءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات فهي موجودات في هذه الكتب، دونَ الأشعار"[61].

ويكمل فيقول: "وهاهنا كتبٌ هي بينَنَا وبينكم، مثل كتاب أُقليدِس، ومثل كتاب جالينوس، ومثل المجسْطي ممّا تولاّه الحَجّاج، وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى، فيها بلاغٌ للناس، وإن كانت مختلفة ومنقوصة،مظلومة ومغَيَّرة،فالباقي كافٍ شاف والغائب منها كان تكميلاً لتسلُّط الطبائع الكاملة"[62].

فهو يقر بكثرة الكتب المترجمة، ولعلني لا أجد تعبيرًا أبلغ من قوله" وهاهنا كتبٌ هي بينَنَا وبينكم" بما يشي أن الكتب اليونانية كانت منتشرة في زمنه، وأنها كانت متداولة بين الناس، ولم يقتصر تداولها على الخواص.وهي كثيرة وعامة في موضوعاتها إذ قال: "كتب كثيرة لا تحصى" وفي هذا بيان لاتساع حركة الترجمة آنذاك، ولم يغب عنه وهو يصف هذه الحركة الكشف عما طال هذه الكتب المترجمة من زيف وتحريف ونقص. ومع هذا فإنّ ما وصل إلينا من هذه الكتب

يشفي غليل طالب المعرفة، ويحسب الجاحظ أن النقص المتمثل في هذه الترجمات يرتد إلى أن النقص طبع من طباع البشر.

أثر كتاب الخطابة في مؤلفاته

رسخ في أذهاننا أن المقالة الثالثة من كتاب الخطابة، تحتوي على كثير مما يتناثر في بلاغتنا من الموضوعات المتعلقة بالأسلوب وصفاته، وما إلى ذلك من فنون القول، من مثل: "المجاز"، و"المثال"، و"الصورة"، و"الإطناب"، و"الإيجاز"، و"التورية"، و"الاستعارة"، و"المبالغة"، و"أجزاء الكلام"، و"الاستهلال"، و"خاتمة الكلام"، وهذا إلى حدٍ ما صحيح، إذا اقتصرنا على الظاهر، أما إذا حاولنا مقارنة هذه الموضوعات التي تحدث عنها الجاحظ نجد أنه لا يلتقي التقاءً تامًا مع أرسطو.

فقد دعا أرسطو في خطابته إلى **أن تكون العبارة لا ساقطة سوقية ولا غريبة**، وكرر هذه الدعوة في غير موطن. من ذلك أنه عقد فصلًا خاصًا تحدث فيه عن "جمال الأسلوب" يقول فيه:" أما الأسلوب فمن أهم مزاياه ما يمكن أن يسمى باسم: الوضوح، ويتبين ذلك من أن الكلام إذا لم يجعل المعنى واضحًا، فإنه لا يؤدي وظيفته الخاصة، كذلك ينبغي ألا يكون وضيعًا، ولا فوق مكانة الموضوع، بل مناسبًا له"[63]. فهو يريد ألا تكون الألفاظ غامضة، ولا سفسافة، وأن تتصل بالموضوع، وتكون متناسبة ومألوفة.

وجاء حديث الجاحظ عن اللفظ وصفاته شبيهًا بما ذكره أرسطو في الخطابة إذ قال: "وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميًا ولا ساقطًا سوقيًا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًا"[64]. لكنه وسع الفكرة وذكر ما لا نجده عند أرسطو لما أجاز للمتكلم إذا كان بدويًا أعرابيًا أن يستعمل الوحشي (الغريب) من الألفاظ "إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي"[65].

واهتم أرسطو **بالأسلوب وتناسبه**، حيث قال: "تناسب الأسلوب يتحصل بالتعبير عن الانفعال والخلق، وبالتناسب مع الموضوع، ويكون الأسلوب مناسبًا للموضوع إذا كانت الموضوعات الجليلة لا تعالج بخفة، ولا الموضوعات التافهة تعالج بجلال"[66]. وكرر دعوته لضرورة التناسب، وأن يكون كلام الخطيب متناسبًا مع الحال والمتلقين، فقال: ""أما الدعابات فإنها كانت مفيدة أحيانًا في المساجلات، فإن النصيحة التي أسداها جورجياس نصيحة صادقة _وهي أن نغير جد الخصوم بالهزل، وهزلهم بالجد، وقد ذكرنا في كتاب "الشعر" كم هي أنواع الدعابات، وبعضها تليق بالإنسان الكريم، وبعضها الآخر لاتليق به. فينبغي عليك، إذًا، أن تختار النوع الذي يليق بك. أما التهكم فأليق بالكريم من التهريج والمجون؛ لأن الأول يقصد به المرء إمتاع نفسه، أما الآخر فيهدف إلى إمتاع الآخرين"[67]. فهو حسب هذه القولة يرى أن للهزل موارد يجب استعماله فيها كما للجد مواضع، وهذا عينه مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

كذلك قال في موضع التناسب بين مستوى الخطاب والمتكلمين: "والسامع يتعاطف دائمًا مع من يتكلم بانفعال وحرارة، حتى لو لم يقل شيئًا عن الواقع، وهذا هو السبب في أن المتكلمين كثيرًا ما يؤثرون في السامعين بمجرد الضوضاء. والخلق يمكن التعبير عنه بالاستدلال من العلامات، إذ لكل طبقة وعادة أسلوب ملائم لها. وأقصد بالطبقة: العمر: طفل، رجل، شيخ عجوز، والجنس: ذكر أو أنثى، والوطن لاقدامونيا أوثسالي. وأقصد بالعادات الأحوال الأخلاقية التي تكون خلق الإنسان في الحياة، إذ ليست كل العادات تقوم بهذا. فإذا استعمل المرء اللغة المناسبة لكل عادة، فإنه سيصور الخلق، لأن الرجل المتعلم لن يقول الأشياء نفسها بالطريقة التي يقولها الرجل المتعلم[68]. لكن السامعين يتأثرون أيضًا على نحو ما بحيلة يستخدمها كتاب الخطب إلى درجة الغثيان، وهي: "من ذا الذي لا يعرف هذا"؟!" كل إنسان يعرف هذا" – إذ يخجل السامع أن يظهر بمظهر من لا يعرف ما هو معروف للجميع.والاستعمال المناسب أو غير المناسب لهذه الحيل ينطبق على كل أنواع الخطابة"[69]. إذًا لا بد من أن يكون عنصر الأخلاق –النصح– المتوافر بالنص الخطابي، مشاكلًا ومناسبًا لكل مخاطب، فما يناسب الغلام لا يناسب الرجل أو الشيخ، وما يناسب المرأة لا يناسب الرجل. لاحظ، كذلك، اختلاف المفاهيم الناشيء من اختلاف البيئة، فرأى أن ما يناسب من هو في بلدة لاقدامونيا قد لا يناسب ويشاكل من هو في بلدة ثيسالى، وهذا القول يتواءم مع فكرة مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضًا.

وألح الجاحظ على فكرة التناسب في كتابه البيان والتبيين بمستوياتها المختلفة المتصلة بمشاكلة الألفاظ للمعاني، ومناسبة اللغة للموضوع، وكذلك التناسب بين مستوى الخطاب والمتكلمين. حيث أورد المناسبة مقترنة بالمشاكلة[70] فقال: "والشيء لا يحنّ إلّا إلى ما يشاكله وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات"[71]. و"إن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني"[72]، وذكر عدّة آراء نقلها عن الصحيفة التي نسبها لبشر بن المعتمر وهو أشهر أعلام مدرسة بغداد المعتزلية، وتوفي سنة 210 أي بعد أن ترجمت أغلب كتب أرسطو في

المنطق. "قال ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقامًا حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان الخطيب متكلمًا تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفًا أو مجيبًا أو سائلًا كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الالفاظ أميل وإليها أحن وبها أشغف"[73]. ومما جاء في صحيفة بشر التي نقلها الجاحظ عند حديثه عن مراحل البلاغة قوله: "فكن في ثلاث منازل فان أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقًا عذبًا وفخمًا سهلاً، ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا وقريبًا معروفًا إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"[74]. وهذا قريب مما ذهب إليه أرسطو[75].

ومثلما ربط أرسطو مناسبة الكلام بفكرة الطبقات في المجتمع، فإننا نجد الجاحظ يجدد هذا الربط فيقول: "وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات"[76].

ولا ريب أن **مسألة اللفظ والمعنى وعلاقة كل منهما بالآخر**، وتفضيل أحدهما على الآخر وأن بلاغة الكلام أترجع إلى اللفظ أم إلى المعنى مسألة قديمة جدًا[77]، وقد بحثها أرسطو والتفت إليها فالصلة بين الألفاظ والمعاني، ودلالة اللفظ على المعنى صلة وثيقة، يقول: "ينبغي أيضًا أن تؤخذ المجازات من الأشياء الجميلة، إذ جمال اللفظ يقوم، كما يقول لقومنيوس في صوته، أو في معناه، وقبحه كذلك يقوم في صوته ومعناه، وهناك شرط ثالث، يفند الحجة السوفسطائية التي قالها بروسون السوفسطائي وهي أنه لا يوجد شيء هو هذر، لأنك في أي كلمات وضعت الشيء فإن المعنى واحد هو هو. وهذا غير صحيح، ذلك أن لفظًا ما يمكن أن يضيف شيئًا على نحو أصدق من غيره"[78].

وأخبرنا الجاحظ عن صفات اللفظة الجيدة، ورأى أنها يجب ألا تكون سوقية ساقطة، ولا وحشية غريبة، كما تحدث عن جرس الألفاظ وفصاحتها، وتنافر حروفها، وتنافر الكلمات إذا اقتربت بعضها من بعض، كما تحدث عن المعنى وأكد فضيلته مثل أرسطو فقال: "وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى، والمعاني مطروحةٌ في الطريق[79]، يعرفها العجميُّ والعربيُّ والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ، وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك"[80].

وأشار إلى اللفظ والمعنى في مواضع أخرى منها قوله: "حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العَقْد (الحساب)، ثم الخط، ثم الحال، وتسمى نصبة والنصبة هي: الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها في السار والضار وعما يكون منها لغوًا بهرجًا وساقطًا مطرحًا"[81]. وقوله: "فإذا كان المعنى شريفًا، واللفظ بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا من الاستكراه، ومنزهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة"[82]. فهو ميّز بين المعنى الجيد، واللفظ البليغ، وطلب من البليغ في موضع آخر أن يزين المعاني فقال: "إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب، واستوجبت على الله جزيل الثواب"[83]. فهو يوازن بين الألفاظ والمعاني من جهة، وبين الألفاظ بعضها مع بعض من جهة أخرى، ويرى أنّ من الألفاظ ما يكون مستحسنًا في أذن السامع للنغم الجميل، والجرس الموسيقي الممتع وعلى البليغ أن يختارها ليصيب فيها معانيه حتى تقع موقعًا حسنًا من النفس.وقال في موطن آخر " المعنى إذا اكتسى لفظًا حسنًا، وأعاره البليغ مخرجًا سهلاً، ومنحه المتكلم قولاً متعشقًا، صار في قلبك أحلى ولصدرك أملا[84]، والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت، وحسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري"[85]. وهكذا نرى أنه قد تحدث عن اللفظ والمعنى في مواضع عدّة،

وحدد فضيلة كل منهما في بلاغة الكلام.

ونقرأ في كتاب الخطابة لأرسطو ما يقارب في بلاغتنا **الكناية**، يقول: "والتورية تؤدي إلى نفس الأثر، أعني إلى إثارة الدهشة، وهذه الحيلة نجدها في الشعر حينما لا يجيء حسبما يتوقعه السمع، ومثاله:سار والأقدام يكسوها ارتعاد (أو تكسوها الشقوق) فإن السامع كان يتوقع من الشاعر أن يقول: "حذاء". لكن لا بد أن يتضح المعنى لدى سماع الجملة. أما التورية فقيمتها ناشئة من كونها تدّل لا على ما يبدو في الظاهر منها، بل على معنى الكلمة في صورتها المغيّرة"[86].

وجاءت إشارة الجاحظ إلى الكناية إشارة عابرة، إذ لم يقف عندها أو يفصل القول فيها، ويبين خصائصها ومميزاتها كما فعل أرسطو، بل اكتفى بذكرها والتمثيل عليها في مواضع من البيان والتبيين والحيوان، ومن أمثلته التي نقلها للكناية قوله: " قال شريح الحدة كناية عن الجهل، وقال أبو عبيدة العارضة كناية عن البذاء، وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك كناية عن الجور"[87].

ولم يتحدث عن التورية إلا بمعناها العام وهو الاستتار والخفاء الذي يشبه "تدبير اليربوع في التورية بشيء عن شيء"[88]

وذكر أرسطو ما يوازي **السجع** في كلام العرب، ووفّق بينه وبين الكلام المفصل في حديثه عن النبرة الخطابية، والكلام الموزون في غير الشعر، فقد عرف الكلام المنثور الموزون الذي لا يخرج إلى حد الشعر، وذكر أن من صفاته أن تكون عباراته منتهية بشيء وهذا ما يدعى "الفواصل"، ولفت إلى أن هذا الكلام أسهل حفظًا من الكلام المرسل وهذه الصفات التي ذكرها تنطبق على " السجع " و" الإزدواج". ويبدو أنه لا يفرق بينهما وبين الكلام المزدوج تفريقًا تامًا فهما في نظره كلام مقسم مفصل فيه إيقاع ما .وقد عدّ عناصر الجمال في الكلام الإيقاع والوزن والتقسيم سواء أكان الكلام مسجوعًا أم مزدوجًا. لهذا رأى أن الأسلوب إما أن يكون متصلًا متحدًا بربطات وإما دوريًّا مثل الأدوار المقابلة. يقول: "ينبغي أن يكون محدودًا (لكن لا بالزمن)، لأن ما هو غير محدود لا يسر، ولا يمكن أن يعرف. وكل الأشياء محدودة بالعدد، والعدد الخاص بشكل القول هو الإيقاع، والأوزان (البحور) أقسام من الإيقاع. ولهذا ينبغي أن يكون النثر ذا إيقاع، لا ذا وزن، وإلا لكان شعرًا. كذلك ينبغي ألا يلتزم هذا الإيقاع التزامًا دقيقًا، بل إلى حدٍّ ما فقط"[89]. وتابع مناقشته قائلًا: "والأسلوب يجب أن يكون إما متصلًا متحدًا بربطات، مثل الاستهلالات الدوثرومبية، وإما دوريًّا مثل الأدوار المقابلة عند الشعراء القدماء"[90]. "أما النوع الآخر من الأسلوب فيقوم في أدوار، وأقصد بالدور جملة لها بداية ونهاية في ذاتها، ولها حجم يمكن إدراكه بسهولة. وما يكتب بهذا الأسلوب لذيذ، ويسهل تعلمه: هو لذيذ لأنه ضد ما لا حدود له، إذ السامع يظن في كل لحظة أنه يؤمن لنفسه شيئًا وأن ثم نتيجة وصل إليها، كما أنه ليس من اللذيذ ألا نتوقع وألا نحصل على نهاية شيء ما. وهو سهل التعلم، لأنه يمكن الذاكرة أن تحتفظ به بسهولة. والسبب في ذلك أن للأسلوب الدوري عددًا، والعدد أسهل الأشياء في التذكر.وهذا يفسر لماذا يتعلم الناس الشعر بسهولة أكبر من النثر، ذلك أن في الشعر عددًا يقاس به ويوزن، لكن الدور يجب أن يكمل بالمعنى ولا يقف منقطعًا.وهو لذيذ لأنه يكون على خلاف ما عليه ذلك الذي لا يتناهى إلى شيء، وكذلك لأن السامع يرى أنه يسهل حفظه"[91]. ثم قال: "تلك هي إذا طبيعة التقابل، أما إذا كانت الأقسام متساوية فهذا يسمى مضارعة، وتشابه المقاطع الأخيرة في كل قسم يسمى السجع ويجب أن يقع ذلك في بداية أو نهاية الأقسام"[92].

وتحدث الجاحظ عن السجع أيضًا، وأشار إليه في كتاب البيان والتبيين في مواضع متعددة منه فسمى بابًا فيه باسم:" باب آخر من الأسجاع في الكلام" ذكر فيه نماذج مختارة من النصوص الأدبية النثرية المسجوعة، ثم أورد في مكان آخر في هذا الباب نصًا جاء فيه "وقيل لعبد الصمد ابن الفضل بن عيسى الرقاشي لم تُؤْثِر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن، قال إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره"[93]. والتشابه بين هذا النص الذي نسبه الجاحظ للرقاشي، والنص الذي نقلناه لأرسطو في الكلام المنثور الموزون المنتهي بفقر ونهايات موحدة واضح، فالرقاشي يؤثر السجع لأن الحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهذا ما جاء به أرسطو في الخطابة. إلا أن الجاحظ لم ينقل لنا تعريفًا للسجع ولم يفصل القول فيه كما فصّله أرسطو، والتشابه بينهما قائم في التعليل الذي أورده الجاحظ نقلًا عن الرقاشي لفضل السجع من أنه يكون أسهل حفظًا، وأقبل للنفس والسمع وأشهى من النثر المرسل. وفي حديث كل منهما عن أنواع السجع وما يحسن منها استخدامه وما لا يحسن.

فقد قال أرسطو: "ينبغي ألا تكون الأقسام ولا الأدوار قصيرة جدًّا ولا طويلة جدًّا، إذ لو كانت قصيرة جدًّا، فإنها كثيرًا ما تجعل السامع يعثر، لأنه حين يهرع نحو الوزن الذي لديه عنه فكرة محددة، فإنه إذا صدمه توقف المتكلم، فلا بدّ من حدوث

عثرة نتيجة للوقفة المفاجئة. وإذا كانت طويلة جدًّا، فإنها تخلف السامع وراءها"[94]. ويفهم من هذا القول أنه يميز بين نوعين من الأسجاع: نوع تكون جمله ومقاطعه طويلة، وآخر تكون قصيرة، وهو لا يحبذ أيًّا منهما؛ لأن القصير يدعو إلى الغفلة، والسهو من قبل السامع؛ والطويل يدعو إلى الملل فهو يميل إلى الأسجاع المعتدلة الطول، وهذا شأنه المستمر في تفضيل ما كان وسطًا. وأورد الجاحظ هذا الرأي فقد قال في معرض حديثه عن السجع نقلًا عن شخص لم يذكر اسمه أن "السجع يكون جيدًا إذا لم يطل ذلك القول، ولم تكن القوافي مطلوبة مجتلبة، أو ملتمسة متكلفة، وكان ذلك كقول الأعرابي لعامل الماء "حُلئت ركابي، وخرّقت ثيابي، وضربت صحابي"، وحلئت ركابي أي: منعت إبلي من الماء والكلأ، والركاب ما ركب من الإبل.قال أو سجع أيضا؟ فقال الأعرابي: فكيف أقول؟ لأنه لو قال حلئت إبلي أو جمالي أو نوقي أو بُعراني أو صِرمتي لكان لم يعبر عن حق معناه، وإنما حلئت ركابه فكيف يدع الركاب إلى غير الركاب"[95]. ففي هذا النص تفريق بين أنواع السجع، وتمييز بين الأسجاع الطوال والقصار كما فعل أرسطو.

ومن المواطن التي فيها تشابه بينهما، أن كلًّا منهما قد أورد السجع والإزدواج في موضع واحد، وأرسطو لم يميّز بينهما تمييزًا تامًا. وهذا ما نجده عند الجاحظ إذ ذكر الازدواج في المواضع التي ذكر فيها السجع، لكنه أيضًا كشأنه عندما تحدث عن السجع لم يعرفه، ولم يفصل القول فيه كما صنع أرسطو، بل اكتفى بذكره معطوفًا على السجع. ومن ذلك قوله: "فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز"[96]. فقد عطف المزدوج على السجع وساوى بينهما وقارب كأنه يرى أن بينهما قاسمًا مشتركًا، وهما من باب واحد. كما أفرد الجاحظ في البيان والتبيين بابًا آخر بعنوان "باب من مزدوج الكلام" أورد فيه نماذج وشواهد من كلام العرب في هذا اللون من النثر.

وعرّف أرسطو **المجاز** لكنه لم يميز تمييزًا واضحًا بينه وبين الاستعارة، فهما في نظره من ضروب التغيير والانتقال. حيث يقول وهو يتحدث عن جمال الأسلوب: "وإذا شئنا تحقيره (أي الموضوع) فنستمده من النوع الأخس. فمثلًا كأن نقول: "لأن لدينا متقابلين ينتسبان إلى نفس الجنس "إن من يتسول يتوسل، أو من يتوسل يتسول "لأن كليهما شكل من أشكال السؤال" هذا مثال على ذلك... وكلا الاسمين مجاز، لكن أحدهما اسم للتحقير، والآخر ليس كذلك.. كذلك ينبغي ألا تكون المجازات معتسفة، بل ينبغي أن نعطي أسماء للأشياء التي لا أسماء لها وذلك باشتقاق المجاز من شيء قريب الصلة،أو من نفس النوع، بحيث إنه إذا نطق به يبدو بوضوح أنه قريب الصلة به، كما في اللغز.. وعلى وجه العموم فإن الألغاز البارعة تزود بمجازات جيدة؛ لأن المجاز نوع من الألغاز، حتى إن النقل "من شيء إلى شيء آخر" بارع. وينبغي أيضًا أن تؤخذ المجازات من الأشياء الجميلة"[97]. وفي حديثه عن المجاز يأتي بمثال هو ألصق بالاستعارة منه بالمجاز، فيقول: "ومادة المجاز ينبغي أن تكون جميلة الوقع على الأذن، جميلة للفهم، وللعين أو لأي حس آخر. فمثلًا أن نقول: "صباح وردي الأنامل" فهذا أجمل من أن نقول "صباح قرمزي الأنامل" وأجمل من أن نقول "صباح أحمر الأنامل"[98].فنقل صفة حمرة الورد للأصابع إنما هو استعارة، ولكنه ضرب هذا المثال على أنه من المجاز. وهذا يعني أنه لم يجد فرقًا كبيرًا بينهما .

وكذلك ظهر عدم تفريقه بين المثال –التشبيه– التغيير المجاز أو الاستعارة – في قوله: "والتشبيه ضرب من المجاز، إذا ثم فارق ضئيل جدًّا"[99].

وقد تطرق الجاحظ للمجاز وذكره فيما كتبه وهو في مفهومه يعني استعمال اللفظ في غير حقيقته توسعًا من أهل اللغة، وعدّ هذا الباب مفخر العرب في لغتهم، وبه وبأشباهه اتسعت. واستشهد بآيات من القرآن الكريم مما قد يشي ببعده عن التأثر، لكنه مع ذلك من المحتمل أن يكون قد اطلع على ما كتبه أرسطو في هذا الخصوص فاستفاد منه فائدة ما حين تعرض للمجاز لاسيما عندما عدّ الصورة البيانية تشمل المجاز وغيره، فأرسطو لم يميز بين الاستعارة والتشبيه والمجاز، فالكل عنده من التغيير والنقل والمجاز. كذلك نجد أن الصورة البيانية تختلف تسميتها عند الجاحظ فهي مرة باسم المثل، ويسميها أحيانًا البدل، والاستعارة والمجاز، ويدرج هذه الأسماء متتابعة مرة فيقول: "المجاز والتشبيه... وقد يقولون ذلك أيضاً على المثل وعلى الاشتِقاق"[100].

أما **الاستعارة** فهي من المصطلحات البلاغية التي أوردها الجاحظ، ونجد جذورها في كتاب الخطابة.في قوله: "أما الأسلوب فمن أهم مزاياه ما يمكن أن يسمى الوضوح...أما الأخرى التي تكلمنا عنها في فن الشعر فإنها تسمو بالأسلوب وتزينه، ذلك لأن البعد عمّا هو ممتاز[101] من شأنه أن يجعله أرفع قدرًا. وفي هذا المجال، يشعر الناس نحو الأسلوب بما يشعرون به نحو الغرباء والمواطنين، ولهذا ينبغي أن نضفي على لغتنا طابع الغرابة.. وفي الشعر كثير من الأمور تفضي إلى هذا[102]. والمجاز أكثر من غيره يعطي الوضوح، والمتعة والطابع الغريب، وهو لا يمكن أن يستمد من شيء آخر. لكن يجب علينا أن نستعمل المجازات والصفات الملائمة، ويتحقق هذا بالتزام المناسبة السليمة، وإلا لأعوزته المناسبة، لأنه حين توضع جنبًا إلى جنب تكون الأضداد أوضح... وإذا شئنا أن

نوشي موضوعنا، فينبغي أن نستمد مجازنا من النوع الأحسن بين أنواع الجنس الواحد، وإذا شئنا تحقيره فلنستمده من النوع الأخس[103] واستعمل المجازات والصفات ابتغاء الإيضاح، حريصًا مع ذلك على تجنب ما هو مفرط في الشعرية[104]... إن التعلم السهل لذيذ بطبعه للجميع والكلمات تعني أشياء، ولهذا فإن الكلمات التي تمكننا من تعلم شيء هي سارة جدًّا. ونحن لا نعلم معاني الكلمات الغريبة، لكننا نعرف الكلمات السليمة. ولهذا فإن المجاز هو الذي يحدث –قبل غيره– هذا التأثير، فهوميروس حين يسمي الشيخوخة قصبة(جذع ذوى)، يعلمنا ويخبرنا بواسطة الجنس، لأن كليهما فقد ازدهاره[105]... وأشد أنواع المجاز اجتذابًا وعدتها أربعة هي تلك القائمة على التناسب. مثل ذلك ما قاله بركليس عن الشباب الذين هلكوا أثناء الحرب إنهم اختفوا من الدولة كما لو كانت السنة قد فقدت ربيعها[106]... ومعظم التعبيرات الرشيقة تنشأ عن المجاز، وعن نوع من التمويه يدركه السمع فيما بعد، ويزداد إدراكًا كلما ازداد علمًا، وكلما كان الموضوع مغايرًا لما كان يتوقعه، وكأن النفس تقول:" هذا الحق، وأنا التي أخطأت"[107].

ففي هذه النصوص يرى أرسطو أن الاستعارة وسيلة من وسائل تحسين الكلام وتجميله، ويبدو أنه لم يميز تمييزًا تامًا بين المجاز والاستعارة، فالأمثلة التي ذكرها هي أدخل في المجاز منها في الاستعارة، كما أنّه رأى أن الاستعارة أو المجاز –التغيير– أليق بالشعر منه بالخطابة وإذا استعملت المجازات والاستعارات في الخطابة فيجب أن يتجنب الإفراط فيها حتى لا تصير شعرًا.

وإذا رجعنا إلى الجاحظ نجده ذكر الاستعارة في كتابه البيان والتبيين، لكنه لم يفصل القول فيها كما فصّل أرسطو، فكل ما قاله عنها هو تعليق موجز بعد قول الراجز:

يا دارُ قد غَيَّرها بلاَهَا كأنَّما بقَلَمٍ مَحاها

أخْرَبهَا عُمران مَن بَناها وكَرُّ مُمساها على مَغناها

وطفِقَتْ سحابةٌ تَغشاها تَبكي على عِراصِها عيناها[108]

"وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[109]. فهو بعد أن مثل لها بجعل المطر بكاءً من السحاب، عرفها بجعله إياها مرادفة "تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" مثل أرسطو.

ويبدو أن تحليله للاستعارة في هذا البيت جعل البلاغيين فيما بعد ينظمون مثل هذه الاستعارة في باب الاستعارة المكنية، إذ أجروا الاستعارة في السحابة على نحو ما هو معروف مشهور، وكأنّه هو المسؤول عن إدخال مثل هذه الصورة في باب الاستعارة، وكان يحسن به أن يفردها عنها. لأن الشاعر حين يجعل السحابة تبكي لا يشبه ولا يستعير إنما "يشخص" ويبث الحياة والمشاعر في عنصر من عناصر الطبيعة.

إذًا اكتفى الجاحظ بذكر الاستعارة في النص الذي ذكرناه ولم يميز بين أنواعها، ولم يتعرض إلى العلاقة بين المستعار منه والمستعار له، ولم يشر إليها إلا إشارة عابرة، ولم يفصل القول كما فعل أرسطو.

وإن كان أرسطو قد عرف الاستعارة التمثيلية، فقال: "وضروب التشبيه المعتد بها هي بمعنى ما عمّا قلنا سابقًا تنتمي إلى الاستعارات؛ لأنها تتألف دائمًا من طرفين أو حدين كما هو في الاستعارة التمثيلية، وعن طريق القياس التمثيلي عندما نقول: الدرع هو كأس من أريس، والقوس قيثارة بدون أوتار فما نقوله على هذا النحو، في هذين التعبيرين هو أنهما ليسا بسيطين، ولكننا لو سمينا القوس قيثارة هكذا مجردة، ودعونا الأدرع بالكأس لكان التعبير عنهما ساذجًا بسيطًا، وهكذا نفعل في التشبيهات المألوفة كأن نقول مثلًا عن عازف الناي كأنه قرد وعن ضعيف البصر أن عينيه أشبه بمصباح مبتل"[110].

فإن الجاحظ لم يذكرها ولم يميزها عن غيرها، بل ذكر لها مثالًا،و لم يسمها استعارة تمثيلية قال: "ويذكرون ناراً أخرى وهي على طريق المثل والاستعارة لا على طريق الحقيقة، كقولهم في نار الحرب قال ابن مَيَّادة:

يداه: يدٌ تَنْهَلُّ بالخير والنّدا

وأُخرَى شديدٌ بالأعادي ضَرِيُرها

وناراهْ: نارٌ نارُ كَلٍّ مُدفعٍ

وأخرى يُصيبُ المجرمينَ سَعيرُها[111]

وتحدث أرسطو عن **الإيجاز والإطناب** في كتاب الخطابة فقال:"والقواعد التالية تسهم في سمو الأسلوب. من ذلك: استعمال الوصف بدلًا من اسم الشيء: مثال ذلك: لا تقل دائرة بل قل شكل[112] مستو كل النقط التي عليه تبعد بمسافات متساوية عن المركز. لكن إذا شئت الإيجاز فاستعمل العكس: استعمل الاسم بدلًا من الوصف"[113].

وفرق بين الإطناب المفيد والحشو، فذكر أن من الكلام ما يكون حشوًا لا فائدة فيه، وإنما يحشره المتكلم بين ثنايا فقرات كلامه.وهو في فعله هذا يجعل القول خفيًا غير بين المعنى والغرض. قال: "مما يحدث الغموض أن لا تقول في البداية ماذا تقصد، حين تضع عددًا من التفاصيل في الوسط. مثال ذلك: إذا قلت: "انتويت بعد التكلم معه هكذا وهكذا وبهذه الطريقة إن انصرف" بدلًا من أن تقول "انتويت الانصراف بعد التكلم معه "ثم حدث هذا أو ذاك، بهذه الطريقة أو تلك"[114].

إذًا، هو عرف الإطناب وفسره بأنه وضع الكلمة ويريد بها الجملة موضع الاسم، وأبان أن الإيجاز عكسه. أي وضع

الاسم موضع الجملة، واشترط في الإطناب أن يكون مفيدًا وإلا انقلب إلى حشو يزيد من تعقيد الكلام ويغلط السامع، وكذا الإيجاز يشترط فيه عدم الإخلال بالمعنى على أن يراعى في جميع هذا تجنب الأسلوب الشعري في الخطابة.

وقد تطرق الجاحظ إلى الإيجاز والإسهاب والحذف، وتكلم على حقيقة الإيجاز فقال: "والإيجاز ليس يُعنَى به قلَّةُ عددِ الحروفِ واللفظ، وقد يكونُ البابُ من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طُومارٍ فقد أوجز، وكذلك الإطالة وإنَّمَا ينبغي له أن يحذف بقدرِ ما لا يكون سبباً لإغلاقه ولا يردِّد وهو يَكتفي في الإفهام بشِطره فَما فضَل عن المقدار فهو الخطل"[115]. لقد عرف الإيجاز والإطناب، لكنه لاحظ أن الإيجاز والإطناب لا يقاسان بحجم الكلام المقول.

فالإيجاز عنده لا في قلة عدد الحروف واللفظ، بل في حذف ما لا يكون سببًا في إغلاق المعنى، وكذلك الحال بالنسبة للإطناب ويسميه في هذا النص "الإطالة" فقد تكون قد أطنبت وأنت لم تتكلم إلا ببضع جمل، وذلك بالقياس للموضوع الذي تتحدث فيه، والإطالة عنده حسنة إلا إذا ردد المتكلم ما يكتفي في الإفهام بشطره، وما يفضل عن المقدار، فهو عنده خطل وعيب.

وأشار إلى أنّ ثمة مواضع يحسن فيها الإطناب، ومواضع يحسن فيها الإيجاز، فقال: "ووجدنا الناسَ إذا خطبُوا في صلحٍ بين العشائر أطالوا وإذا أنشدوا الشعر بين السِّماطين في مديح الملوك أطالوا، وللإطالة موضعٌ وليس ذلك بخطَل وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجْز"[116].

وقد أفرد في كتابه البيان والتبيين بابًا بعنوان "ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول"[117]. وأشار إلى الإيجاز والإطناب في مواضع متعددة.

رأى أرسطو أن وسائل الإطناب هي أن يضع المتكلم الكلمة مكان الاسم، والإيجاز ضد ذلك. أما الجاحظ فرأى أن الإيجاز والإطناب لا يقاسان بكثرة عدد الحروف وقلتها. وهو أدق من الأول فيما ذهب إليه. كما أن إشارته إلى أنّ ثمة مواضع يحسن الإطناب فيها، وأخرى يكون الإيجاز فيها حسنًا استنتجها من استقرائه الخاص.

وفصّل أرسطو **القول في أجزاء الكلام وهي الاستهلال، والعرض، والدليل، والخاتمة**[118]. الاستهلال عنده: "بدء الكلام ويناظره في الشعر المطلع، وفي فن العزف على الناي: الافتتاحية، والافتتاحية شبيهة بالاستهلال في النوع البرهاني"[119]. وخاتمة الكلام مركبة من أربعة أشياء " إذ يجب عليك أن تجعل السامعين مائلين إليك ومستائين من خصمك، وأن تكبر أو تصغر الوقائع الأساسية، وأن تثير الانفعال المطلوب في نفوس سامعيك، وأن تنعش ذاكرتهم"[120].

وحسن الابتداء والانتهاء ذكرهما الجاحظ من خلال كلمة شبيب بن شيبة الذي قال: "وحدثني صالح بن خاقان قال: قال شبيب بن شيبة: الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء، وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع[121]، وبمدح صاحبه. وحظ جودة القافية، وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت"[122]. وجودة الابتداء تقابل الاستهلال عند أرسطو، وجودة القطع تقابل الخاتمة عنده.ويبدو أن التشابه ينحصر فقط في إشارة كل منهما إلى الابتداء والخاتمة، وهذا غير كافٍ للحكم بالتأثر. ذلك أننا لو تصفحنا ما ذكره أرسطو في هذا الخصوص لوجدناه قد تحدث عن أجزاء الخطبة[123] حديثًا مفصلًا في حين لم يشر الجاحظ إلا إلى تفضيله جودة القطع، ومدح صاحبه في مقابل من يفضل جودة الابتداء ومدح صاحبه.

لكن مع هذا لا يستبعد احتمال وجود أثر يوناني في النص الذي نقله الجاحظ في البيان والتبيين عن ابن المقفع. وفيه: " وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته "[124]. فقول ابن المقفع هذا هو ما ذهب إليه أرسطو من أن مطلع الخطبة أو الاستهلال يجب أن يتضمن الغرض الذي يرمي إليه الخطيب، والذي يسرده، ويوضحه في خطبته.

وتنبه أرسطو إلى أن **بعض الأسماء تكون ثقيلة على النطق، وبعضها يكون مشتهى ولذيذًا** ورقيقًا؛ وما هذا إلا للوزن الذي تحمله مثل هذه الألفاظ.ففي معرض حديثه عن النبرات الصوتية، وأوزان الألفاظ وما يحسن منها وما يقبح قال: " وكأن الذين ابتدأوا بتحريك تلك التي هي الأولى على مجرى الطبيعة هم الفيوئطيون، فإن الأسماء قد تكون مثقلة، والصوت أيضًا قد يكون مشتهى أو ممثلًا عندنا لكل جزء من الأجزاء، وعن ذلك حدثت الصناعات"[125]. وقال: "ينبغي النظر في ثلاث صفات: العظم، الانسجام، الإيقاع"[126].

وتعرض الجاحظ إلى الحديث عن تنافر الألفاظ والكلمات وائتلافها، ومثل لها بالبيت المشهور الذي كرره البلاغيون من بعده، فقد قال:

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها،إلا ببعض استكراه فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفــر

وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له أن أحدًا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات، في نسق واحد فلا يتتعتع، ولا يتلجلج، وقيل

لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن صدقوا بذلك"[127].

وواضح أن تنافر الألفاظ راجع إلى ثقلها ووزنها ونبرتها، ولأن حروف كلماتها متشابهة أو متقاربة في النطق، فتكون نبراتها الصوتية متشابهة ومتداخلة، لذا يصعب على المرء النطق بها، ومن المحتمل أن يكون الجاحظ أخذ هذه الفكرة من أرسطو وأدخلها في تنافر الألفاظ مع بعض، وفي تنافر الحروف مع بعضها.

وتكلم أرسطو على **سلامة الأسلوب**، وذكر أن من أولويات الخطيب أن يكون على معرفة وبينة من اللغة التي يتكلم بها، وقد خصَّ اللغة اليونانية، ولم يكتف من الخطيب في أن يُفهم الآخرين حسب، إنما يجب أن يكون هذا الإفهام بصورة سليمة خالية من اللحن والسقط.

يقول: "إن المبدأ العام للأسلوب هو التحدث حديثًا صحيحًا باللغة الإغريقية"[128] و"تحصل صحة الأسلوب بمراعاة خمسة شروط: الأول هو أنه ينبغي الإتيان بأجزاء الربط وفقًا لترتيبها الطبيعي قبل أو بعد بحسب المقتضى... فالقاعدة الأولى إذًا هي أن نستعمل الرباطات استعمالًا سليمًا"[129].

فهو يشترط في الخطيب أن يكون على علم تام باللغة اليونانية ؛ ليكون كلامه صحيحًا متناسقًا لا لحن فيه ولا نقص ؛ لأنّ اللحن معيب في الخطيب، وعدم معرفة خصائص اللغة التي يتكلم بها تجعل الكلام غير بليغ، وغير تام في إيصال المعنى إلى المستمع.

ولو عدنّا إلى الجاحظ لوجدناه يعلق على كلام نسبه للعتّابي: "قال أبو عثمان والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده، ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد أن نكون قد فهمنا،فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كله سواء، وكله بيانا، وكيف يكون ذلك كله بيانا، ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه، ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا، وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم"[130]. فهو يستنكر الزعم القائل بأن الغرض من البلاغة هو إفهام السامع معنى القائل دون الالتفات إلى الطريقة التي يتم بها هذا الإفهام؛ لأن هذا معناه أن الكلام الذي فيه لحن فصيح، وهذا ما لا يقبله الجاحظ فهو يشترط في البلاغة والبليغ أن يكون على معرفة تامة بقواعد اللغة العربية حتى يأتي كلامه سليمًا بليغًا، وهذا ما ذهب إليه أرسطو أيضًا.

ويمضي الجاحظ إلى أبعد من ذلك حين يرى أننا إذا قصرنا البلاغة على الإفهام فقط، فيمكن حينئذٍ أن نسمي حمحمة الفرس، وضغاء السنور بلاغة[131]؛ لأنهما يعبران ويفهمان بواسطتيهما كثيرًا مما يريدانه وعليه فإنه يرى أن الإفهام الذي يقصده العتابي إنما هو الإفهام الذي يجري مجرى كلام الفصحاء.

وورد في خطابة أرسطو حديث عن **الغرابة الفنية**، وأثرها في النفس، وقدرتها على الإمتاع، يركز فيه على ميل النفوس الفطري إلى كل ما هو مخالف للمألوف، وبعيد عن المنال إذ قال: "يشعر الناس نحو الأسلوب بما يشعرون به نحو الغرباء والمواطنين، ولهذا ينبغي أن نضفي على لغتنا طابع الغرابة؛ لأن الناس تعجب بما هو بعيد، وما يثير الإعجاب يسر ويمتع"[132]. "وكلما كان الموضوع مغايرًا لما كان يتوقعه وكأن النفس تقول: هذا حق وأنا الذي أخطأت"[133].

ولفت الجاحظ إلى أثر الخطيب في السامعين، وإلى الدور الذي تؤديه الأمور الخارجة عن الكلام من إضافة، وقد جرى القول على لسان سهل بن هارون الذي كان على اتصال وثيق بحركة ترجمة الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية في بيت الحكمة، وفيه "الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع...والناس موكلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد، وليس لهم في الموجود الراهن، وفيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي لهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ، وكل ما كان في ملك غيرهم وعلى ذلك زهد الجيران في عالمهم، والأصحاب في الفائدة من صاحبهم،وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم ويرحلون إلى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعًا وأكثر في وجوه العلم تصرفًا وأخف مؤونة، وأكثر فائدة، ولذلك قدم بعض الناس الخارجي على العريق، والطارف على التليد"[134]. وجاء في كتاب الحيوان:"كلّما كان الخبرُ أغرب كانوا به أشدّ عُجْباً مع عبارة غثَّة ومخارج سَمِجة"[135].

والتقارب بين رؤية أرسطو وما ورد عند الجاحظ أكثر من محض مصادفة، فهذه الموازاة بين النص الغريب وحال الإنسان مع الغرباء ومع من اعتاد رؤيتهم، وذلك الاتفاق على طبيعة الأثر، والربط بين الغرابة والوهم، تجعلنا نسلم بأن الأثر الأرسطي ظاهر، وما يدعم هذا الأثر إذا تجاوزنا التشابه النصي، هو حال ناقل النص أعني سهل بن هارون المتصل بالترجمات، وقد يكون اطلع على كتاب الخطابة.

وأشار أرسطو إلى فعل **الهزل والسخرية** في المنازعات وأثره في نجاح المتكلم والنيل من خصمه، وأشاد بقول

جورجياس السوفسطائي: ينبغي أن يفسد الجد بضده، أي بالهزل، ويفسد الهزل بالجد، ووصف أرسطو جورجياس بأنه مصيب في هذا القول، وأحال على ما كتبه في كتاب الشعر من أنواع الهزل التي تستعمل فيه[136]. وذكر أن من أنواع الهزل ما يليق بالكريم، وهو "الهزل الذي لا يكمن في صاحبه على أمر باطن، أو تعريض بأمر قبيح، بل يكون ما تكلم فيه بالهزل هو الشيء نفسه الذي قصد إليه من غير أن يعرض بذلك عن أمر قبيح.ولذلك فإن المازح يواجهك بالمزاح، ويبدي لك ما في نفسه، وأما المعرّض فهو يخادعك ويوهمك أنه يتكلم في شيء، وهو يذهب بالهزل إلى شيء آخر قبيح، ولذلك فإن المازح أشبه بالكريم، لأنه يصدق عن ذات نفسه، والمعرّض أشبه باللئيم، لأنه يخفي شرًا وحقدًا"[137].

وحديث الجاحظ عن هذا الأسلوب جاء عارضًا إذ ذكره في البيان والتبيين "وقال إبراهيم ابن هانيء، وكان ماجنًا خليعًا كثير العبث متمردًا،ولولا أن كلامه هذا الذي أراد به الهزل يدخل في باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضي وليس في الأرض لفظ يسقط البتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الأماكن"[138]. ووصف أسلوبه الذي اتبعه في كتاب الحيوان، بأنه يمزج الهزل بالجد[139]. وكتب الجاحظ رسالة في الجد والهزل[140]. ونبه على فائدة هذا الأسلوب في استنشاط القارىء وشد انتباهه حيث قال: "وإن كنَّا قد أمَلْناك بالجِدِّ، وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمرَوَّجة لتكثر الخواطر وتشحَذَ العقول، فإنّا سننشِّطكَ ببعض البَطالات، وبذكر العلل الظَّريفة والاحتجاجاتِ، الغريبة، فربَّ شعرٍ يبلُغُ بفَرْطِ غباوةِ صاحبه من السرور والضحك والاستطراف ما لا يبلغه حشدُ أحرِّ النوادر وأجمَعِ المعاني"[141].

صحيح إن الجاحظ بحث موضوع الخطابة في كتابه كأرسطو، لكن بينهما فروقات في المنهج والأفكار. فمع أنه ركز على صفات الخطيب مثل أرسطو، إلا أنه اهتم على خلافه بالجوانب الظاهرة ولم يحفل بباطنه وأخلاقه. ورأى أن أهم صفاته جهارة الصوت، وسعة الفم، ورباطة الجأش، وسكون الجوارح وقلة اللحظ، وأبشع عيوبه العي والحصر واللثغة واللحن واللكنة والتشديق والتقعيب والتزيد.

ومع أنه تحدث على غراره عن أنواع الخطب، إلا أنه لم يتعمق في ذلك مثله، واكتفى بذكر بعضها دون تفصيل مثل خطبة المحافل، وخطبة النكاح، وخطبة الوعظ.

وعني عناية خاصة بنوع خطابي ظهر عند أرسطو هو "الخطابة الاستشارية " في قوله: "فإن أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة، وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش وكان مشغوفًا بأهل الجماعة شنِفًا لأهل الاختلاف والفرقة، جمعت له الحظوظ من أقطارها، وسيقت إليه القلوب بأزمتها، وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته وجبلت على تصويب إرادته"[142].

ولا بدّ أن نلفت الانتباه إلى جانب مهم لاحظناه عند الجاحظ، هو أنّ أكثر الموضوعات التي حاول أن يوازن فيها بين العرب وما عند غيرهم من الأمم، ذكرت في كتاب الخطابة، وكانت تتخذ حيزًا هامًا فيه، يقول الجاحظ: "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه، ويحث عليه، وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الأعجام"[143].

وقد جعل أرسطو الوضوح من أهم صفات جمال الأسلوب، حيث قال: "أما الأسلوب فمن أهم مزاياه ما يمكن أن يسمى باسم الوضوح، ويتبين ذلك من أن الكلام إذا لم يجعل المعنى واضحًا، فإنه لا يؤدي وظيفته الخاصة"[144]. وقال الجاحظ: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان"[145]. وقد وردت أنماط عدّة في كتاب الخطابة لأرسطو تتصل بفن البديع من مثل ذكر التقسيم والجمع في المعاني[146]، والحديث عن المبالغة والإغراق[147]، وذكر التوازن في الشعر والنثر والفرق بينهما[148]، والإشارة إلى السجع والجناس إشارات متفرقة. ولعل أبرز ما ركز عليه الجاحظ في موازنته بين العرب وغيرهم، هو صفة البديهة والارتجال التي ميزت خطباء العرب عن سائر الأمم إذ قال: "وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس[149]، وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد رأي وطول خلوة وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر، ودراسة الكتب وحكاية الثاني علم الأول وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم، وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة"[150]. ثم قدم مسوغه على هذا الحكم حتى لا يظن أحد أنه قاله متعصبًا أو دون دليل، فقال: "ونحن –أبقاك الله– إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير والنبذ القليل"[151]. وقد أورد عبد القاهر الجرجاني في "الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز" هذا النص مع اختلاف يسير في

بعض الكلمات،و قال: "ونرى الجاحظ يدعي للعرب الفضل على الأمم كلها في الخطابة والبلاغة، ويناظر في ذلك الشعوبية، ويجهلهم ويسفه أحلامهم في إنكارهم ذلك، ويقضي عليهم بالشقوة وبالتهالك في العصبية، ويبطل ويطنب"... ثم يذكر نص الجاحظ[152] ويردفه بالتعليق الآتي: "والأمرُ في ذلك أَظْهَرُ مِنْ أن يَخْفى، أو أن ينكره إلا جاهل أو معاند"[153]. وكنت قد ذكرت من قبل تعليق طه حسين على هذه الفكرة إذ عدّها شيئًا من "المجازفة الساذجة لا يخلو من التفكهة"[154]. وشتان بين رؤية عبد القاهر وطه حسين، أكان الأول مبالغًا والآخر جاهلًا أو معاندًا على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني أم أنه ينبغي أن نقرأ هذا النص في سياقه الذي قيل فيه، وهو الرد على ادعاءات الشعوبية؟

الخاتمـــة

إشكالية الإقرار بتأثر الجاحظ بكتاب الخطابة لأرسطو، تنبع من أنه يمثل محطة بارزة في بدايات البلاغة العربية ونشأتها، وأن ظروف ترجمة هذا الكتاب أحيطت بهالة من الضبابيّة، حاول بحثنا كشف النقاب عنها، إذ أثبت حضور هذا الكتاب على الصعيدين التاريخي –حيث توفرت ملخصات ورسائل وأخبار تظهر أن الكتاب كان موجودًا زمن الجاحظ أو قبله– والنصي إذ أظهرت المقارنة الدقيقة بين نصيهما طبيعة الالتقاء واحتمالية كينونته.

أتت الأخبار التي ساقها الجاحظ عن اليونانيين وأرسطو، في عدد من مؤلفاته، في سياق ردّه على الشعوبيين، ولا يمكننا عدّها دليلًا على عدم تأثره بالخطابة الأرسطية، أو عدم معرفته بها.

تأثُّر الجاحظ بالمنطق الأرسطي ومنه كتاب الخطابة، أملته الظروف الحضارية، وثقافته الموسوعية. ولا يمكننا أن نركن إلى آراء المستشرقين التي حاولت تقويض جهده، وعدّته مدينًا حضاريًا لليونانيين. فقد أظهرت أنه لم يكن معجبًا بطريقة اليونانيين، ولا بأرسطو الذي وصفه بأنه بكيء اللسان، وغير موصوف بالبيان.

وقد أبانت ملاحظاته المبثوثة في مؤلفاته أنه لم يلتزم المنطق الأرسطي ومنه الخطابة التزامًا دقيقًا، وأنه أدرك خصوصية البيان العربي؛ لذلك عَمَدَ إلى نصوص تراثه الحضاري، ليستخلص منها ملحوظاته البيانية، والتقى مع أرسطو في عدد من الأفكار، وكان ذكيًا جدًا لما ألبسها رداء عربيًا خالصًا، متجردًا من تبعات الحضارة الأخرى.

كتاب الخطابة لأرسطو هو جزء من المنطق الأرسطي، وقد كثرت نقول الجاحظ عن صاحب المنطق، وصرح في كتبه بشيوع هذه الكتب، وسوء ترجماتها، الأمر الذي يجعلنا نقر أن الخلل المنهجي الذي وقعت فيه الدراسات النافية للأثر الأرسطي، مردّه إلى أنها اعتمدت على الآراء الذاتية وتعصبت حضاريًا لموروثها، ولم تعمد للدراسة النصية لكتب الجاحظ، التي هي خير دليل للحكم على تأثره من عدمه.

جاء تأثر الجاحظ بكتاب الخطابة على صورة شذور متفرقة، لا يمكن ألا نقيم لها وزنًا لأنها أتت على هذه الصورة، فهي تطلعنا على طبيعة التأثر، وتهدينا إلى ترجيح مفاده أن الجاحظ لم يعرف هذا الكتاب بصورته الكاملة وإنما أفاد من آراء شيخه المعتزلي إبراهيم النظام فيه، ونرجح أنه قرأ ملخصات ابن بهريز وما كتبه الكندي في رسائله عن خطابة أرسطو وأغراضها.

الخلاف بين الجاحظ وأرسطو بيّن في المنهج والآراء المتصلة بفن الخطابة، إذ ركز أرسطو على صفات الخطيب الأخلاقية، في حين أن الجاحظ لم يبدِ اهتمامه بها، وعُني في صفات الخطيب الشكلية. وفصل أرسطو القول في الخطابة وأنواعها، في حين أن الجاحظ لم يتعمق في دراسة هذه الأنواع وعني بنوع خاص ظهر عند أرسطو وهو الخطابة الاستشارية.

ونقع في المقالة الثالثة من كتاب الخطابة لأرسطو على كثير مما ذكره الجاحظ من موضوعات بلاغية متصلة بالأسلوب وصفاته، وما إلى ذلك من فنون القول مثل: المجاز، والصورة، والإطناب، والإيجاز، والتورية، والاستعارة، والمبالغة، وأجزاء الكلام، والاستهلال، وخاتمة الكلام. وقد أظهرت موازنتنا الدقيقة مواطن تأثر الجاحظ في كل فن من هذه الفنون على حدة، ومدى التقائه وتجاوزه لما جاء به أرسطو في خطابته.

ويمكن القول إنه تقارب مع خطابة أرسطو في صورة واضحة لما تحدث عن الغرابة، وتناسب الأسلوب ومطابقته لمقتضى الحال، وثنائية اللفظ والمعنى، والصورة البيانية وأشكالها.وإنه أوجز آراء أرسطو في كلامه على الإيجاز والكناية والاستعارة، وأجزاء الخطبة، والسجع.

الهوامش

(1) ضيف: البلاغة تطور وتاريخ 38–39. والشناوي: النحو والبلاغة العربيان والفكر اليوناني، 418.

(2) طه حسين: مقدمة نقد النثر 3.

(3) بو ملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ 206، وضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي 222.

(4) طه حسين: المرجع نفسه 1.

(5) حيث قال: "فمتى كان رحمه اللّه تعالى... ابن فِهريز... مثلَ أرِسطاطاليس". الجاحظ: الحيوان1: 77.

(6) مطلوب: البلاغة عند الجاحظ 145.

(7) خفاجي: أبو عثمان الجاحظ، 119–120.

(8) الشهرستاني: الملل والنحل 1: 74، والخولي: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب 145–146، وحسن السندوبي، أدب الجاحظ 39، وبدوي: تقويم عام لتحقيق التراث اليوناني المترجم إلى العربية، من أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية 25، وأمين: ضحى الإسلام 1: 387و399، وشارل بلّا:الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء 13،6، 113، وشارل بيلا: أصالة الجاحظ 12.

(9) الحمد: حوار الأمم، تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان 430. وهو يتفق مع وجهة دارس سابق هو نجيب محمد البهبيتي (أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره 197 و195و196).

(10) البهبيتي: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري 251. ويرى إبراهيم السعافين أن رأي نجيب البهبيتي يحتمل الصواب.

(11) نفسه 196.

(12) نوفل: البلاغة العربية في دور نشأتها 49.

(13) هكذا ورد في الأصل.

(14) انظر قصاب: مصادر البحث البلاغي والنقدي عند المعتزلة ضمن التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري 405–424.

(15) سلامة: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان 74. وناجي: الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز 79، و80، و81، و83.

(16) ابن بهريز: حدود المنطق 100، 97.

(17) الكندي: رسالة الكندي في كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة، ضمن كتاب رسائل الكندي الفلسفية 363–384

(18) تتجلى في كتاب الحيوان معرفة عميقة من لدن الجاحظ في تراث اليونان، يذكر كتبهم: الآثار العلوية لأرسطاطاليس 6: 280، والمجسطي: 1: 80، والحيوان لأرسطو 1: 37، 2:55، 3:137–513، 4: 207، 5:153–156، و365، و502، 6: 9–15و441، 7: 184، 226. وأفوريسموا (كتاب الفصول لأبقراط) 1: 102. وأعلامهم من مثل: أرسطاطليس 1:74، و76، و183، و185. 2: 50، و52، و55،و 58وجالينوس 1: 80، 7: 24، وإقليدس 1: 54، و80، و90. ويذكر آرائهم: نظام التوريث عند فلاسفة اليونانية 1: 98، ونقد بعض مذاهبهم (الدهرية) 5: 74، وأشار إلى خصائصهم 7: 253. وذكر قول ديمقراط في تأليف كتب العلم 1: 100. وعرف أطباءهم 2: 31. وانظر: 1: 75، و98، و289 ، 2: 131، 5: 327.
وفي كتاب التربيع والتدوير تأثر واضح بمفهوم الأخلاط والأمزجة الأربعة التي نادى بها الطبيب اليوناني جالينوس وهي الدم والبلغم والمرة السوداء والمرة الصفراء الجاحظ (كتاب التربيع والتدوير 83 واهتمام بأعلام الموسيقى والفكر لدى اليونان. نفسه ص82، 83، 99، 97، 98، 88، 45.

(19) الجاحظ: رسائل الجاحظ 1: 67.

(20) الجاحظ: المصدر نفسه 1: 68.

(21) نفسه: 1: 69. كذلك بين بعض حكم أفلاطون وجالينوس المتصلة في حب الناس والوطن في رسالته في الحنين إلى الأوطان (2: 387).

(22) نفسه 3: 314.

(23) أشار إلى الفكرة نفسها حيث قال: "فأما الأمم البائدة من العجم مثل كنعان ويونان وأشباه ذلك فكثير، ولكن العجم ليست لها عناية بحفظ شأن الأموات ولا الأحياء. (الجاحظ:البيان والتبيين 1: 188).

(24) الجاحظ: رسائل الجاحظ 3: 315.

(25) فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي197.

(26) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 384.

(27) الجاحظ: نفسه 2:226. يرى سيد نوفل أن هذا الموطن يوحي بفطنة هذا اليوناني ولا يدل على حمق بل "يدل على عقل سليم بل راجح، وتعليمه الناس الشعر ينفي عنه الحمق والجنون". (البلاغة العربية في دور نشأتها 47).

(28) الجاحظ: البيان والتبيين 3: 27.

(29) نفسه 3: 28.

(30) الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان397.

(31) الجاحظ: البيان والتبيين 3: 14.

(32) تجدر الإشارة إلى أن الفارابي هو الوحيد الذي ذكر جالينوس ثلاث مرات في مختصره للخطابة، وهو ينقل من ثلاثة كتب له: هي حيلة البرء، وآراء بقراط وأفلاطن، وأخلاق النفس. وكنت قد أشرت أن ما وصل إلينا عنه من الخطابة بعيد عما في الترجمة العربية لكتاب الخطابة (الفارابي: الخطابة 32، 34، 36).

(33) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 62.

(34) المصدر نفسه 1: 73.

(35) نفسه 1: 254.

(36) نفسه 1: 77.

(37) نفسه 1:91.

(38) أرسطو: الخطابة، ت.ح عبد الرحمن بدوي 194.

(39) الجاحظ: الحيوان 6: 5.

(40) الجاحظ: المصدر نفسه 6: 8.
(41) الجاحظ: كتاب العثمانية 266.
(42) الجاحظ: الحيوان 7: 49، و50، و57.
(43) الجاحظ: الرسائل 2: 194.
(44) فكتور شلحت اليسوعي: النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ 91-98 و124. حيث يظهر الاتجاه السوفسطائي والأرسطي. وانظر دراسة (فان) التي يظهر فيها أن آثار الجاحظ من أوائل المحاولات الكلامية التي تحاكي المنطق اليوناني.
Josef Van : The logical structure of Islamic theology 25,26,29,32
(45) الجاحظ: الحيوان 2: 230.
(46) انظر: الجاحظ: البيان والتبيين 2: 49. و1: 40.
(47) من هذه المصطلحات والألفاظ: (المنطق) الحيوان 1: 90، 6: 8.و(الاستحالة) 5:55. و(الاستدلال) 2: 115. و(التخييل وضروبه) 3: 379، و(التمويه) 4: 190. و(القياس) 3: 373.و(الهيولى) 4: 50.
(48) الجاحظ: الحيوان 1: 77.
(49) الجاحظ: المصدر نفسه 1: 78-79.
(50) نفسه 1: 90.
(51) الجاحظ: الحيوان 1: 90.
(52) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 88.
(53) "هدر الهَدَرُ: ما يَبْطُلُ، هَدَرَ دَمُه يَهْدِر هَدْراً، وأَهْدَرْناه إهْداراً. وهَدَرَ البَعِيرُ يَهْدِرُ هَدْراً وهَدِيْراً. والحَمَامَةُ تَهْدِرُ. والأرضُ الهادِرَةُ. والعُشْبُ الهادِرةُ: الكَثِير. والهِدْرُ: الرَّجُلُ الذي فيه طَرْقَةٌ من حُمْقٍ، بَيِّنُ الهَدَارَةِ. وهو - أيضاً-: المِنْطِيْقُ ويُجْمَع هِدَرَةً، والثَّقِيْلُ أيضاً، وكذلك الهُدَرَة " الصاحب بن عباد: المحيط في اللغة 3: 439.
(54) حنين بن إسحق: آداب الفلاسفة 56.
(55) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 92.
(56) الجاحظ: الحيوان 1: 85.
(57) الفريد غيّوم: الفلسفة وعلم الكلام من كتاب تراث الإسلام 351.
(58) الجاحظ: الحيوان 1: 11.
(59) الجاحظ: المصدر نفسه 1: 75. وكذلك قال: "وقلَّ معنًى سَمِعناهُ في باب مَعْرفةِ الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتبِ الأطبَّاءِ والمتكلمين إلاَّ ونحنُ قد وجدناه أو قريباً منهُ في أشعار العَرب والأعراب وَفي معرفةِ أهلِ لغَتنا ومِلّتنا ولولا أنْ يطولَ الكتابُ لذكرتُ ذلك أجمعَ وعلى أنّي قد تركتُ تفسيرَ أشعارٍ كثيرة وشواهد عديدة مما لا يعرفه إلاَّ الرَّاويةُ النِّحرير مِنْ خوف التطويل ". (الجاحظ: الحيوان 3: 268). ومن المفيد ذكر التعريف الذي أورده أبو هلال العسكري عن الكتاب للجاحظ، وفيه "الكتاب وعاءٌ مُلئ علماً وظرفٌ حشي ظرفاً وإناء شحن مزاحاً وجداً إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل وإن شئت ضحكت من نوادره وإن شئت شجتك مواعظه ومن لك بواعظٍ ملهٍ وبزاجرٍ مغرٍ وبناسك فاتكٍ وبناطق أخرس وببادرٍ حار، ومن لك بطبيب أعرابي وبرومي هندي وفارسي يوناني وبقديم مولد وبميت مُمتع، ومن لك بشئ يجمع الأول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده". (ديوان المعاني 2: 86.
(60) الجاحظ: الحيوان 1: 75-77.
(61) نفسه 1: 80.
(62) نفسه: 1: 80.
(63) أرسطو: الخطابة، ت. ح 196 . ت.ع186. أ.ي 176.
(64) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 144. وقد جاء هذا في الصحيفة الهندية التي نقلها الجاحظ: يجب على الخطيب أن "يدقق المعاني كل التدقيق... وينقح الألفاظ كل التنقيح... ويصفيها كل التصفية.. ويهذّبها كل التهذيب". (الجاحظ: المصدر نفسه 1: 92)، وشرح أبو هلال العسكري قوله: " ويصفّيها كلّ التصفية، ويهذّبها كل التهذيب"، فقال: "فتصفيته تعريته من الوحشيّ، ونفي الشواغل عنه، وتهذيبه تبرئته من الرديّ المرذول، والسوقيّ المردود". الصناعتين 31).
(65) الجاحظ: نفسه 1: 144.
(66) ت.ح: 209.، ت.ع: 202، أ.ي:191.
(67) يقصد أرسطو من كتاب الشعر القسم الذي يتكلم على الكوميديا وهو ضاع ولم يصل إلينا. ت.ح: 254_ 255 ، ت.ع: 251 أ..ي: 233.
(68) هكذا ورد في الأصل وصوابه غير المتعلم.
(69) ت.ح: 210، ت.ع: 202-203، أ.ي:191-192.
(70) المشاكلة مصطلح يرتبط في الفلسفة، والحب، وقد أوضح هذا الأمر فهمي جدعان: " داعي المشاكلة في نظرية الحب عند العرب، في كتاب نظرية التراث 139-175.
(71) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 138.
(72) المصدر نفسه 1: 145. وانظر نفسه 2:7.
(73) نفسه 1: 138-139.
(74) نفسه 1: 136.
(75) يتفق كلام بشر بن المعتمر مع ما جاء في الصحيفة الهندية -المترجمة من السنسكريتية- من إلحاح على ضرورة مراعاة التناسب بين المعاني والألفاظ. " لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السُّوقَة" و"مدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم" (الجاحظ: البيان والتبيين ج1: 92، و93) وقد شرح أبو هلال العسكري هذه الصحيفة شرحًا وافيًا، ومثّل على ما فيها بأمثلة عربية (الصناعتين 19-37).
(76) نفسه 1: 144.

(77) انظر تفصيل ذلك: يوسف بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار المناهل، بيروت، 2009 (مذاهب النقاد في اللفظ والمعنى: ص115–132).
(78) ت.ح: 199–200، ت.ع 190.
(79) انظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز (إزالة الشبهة في جعل الفصاحة والبلاغة للألفاظ، بيان مهم في مسألة اللفظ والمعنى: 2: 481–483) وإحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نظرية المعاني المطروحة 98–99) و(تناقض الجاحظ في موقفه من الشكل 100–101).
(80) الجاحظ: الحيوان 3: 131–132.
(81) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 76.
(82) المصدر نفسه 1: 83.
(83) نفسه 1: 114. وانظر: نفسه 1: 115 و111.
(84) هكذا ورد في الأصل.
(85) نفسه: 1: 254.
(86) ت.ح: 226 ، ت.ع: 221، أ.ي: 207.
(87) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 263.
(88) الجاحظ: الحيوان5: 280.
(89) ت.ح: 212، أ.ي: 193–194، ت.ع: 205.
(90) ت.ح: 214، ت.ع: 207، أ. ي : 195.
(91) ت.ح: 214–215، ت.ع : 208.أ.ي: 196.
(92) ت.ح: 217، ت.ع: 211. أ.ي: 199.
(93) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 287.
(94) ت.ح:215، ت.ع : 209، أ.ي : 198–199.
(95) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 288.
(96) المصدر نفسه 1: 288.
(97) ت.ح: 198–199، ت.ع: 188–190، أ.ي: 179–180.
(98) ت.ح: 200. ت.ع: 191. أ.ي: 181–182.
(99) ت.ح: 204، ت.ع: 195، أ.ي: 185.
(100) الجاحظ: الحيوان 5: 23.
(101) خطأ في ترجمة بدوي صوابه (معتاد).
(102) ت.ح: 196، ت.ع: 186.
(103) ت.ح: 198، ت.ع: 188.
(104) ت.ح: 208، ت.ع: 200.
(105) ت.ح: 220، ت.ع: 213.
(106) ت.ح: 221، ت.ع: 214.
(107) ت.ح: 226، ت.ع: 220.
(108) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 152.
(109) المصدر نفسه 1: 153.
(110) أرسطو: الخطابة، ت.ح عبد القادر قنيني 169. ت.ح بدوي 228–229. ت.ع 223.
(111) الجاحظ: الحيوان 5: 133. شعر ابن ميّادة: 129.
(112) هكذا ورد في الأصل.
(113) ت.ح: 208، ت.ع: 200 .
(114) ت.ح: 208، ت.ع: 200.
(115) الجاحظ: الحيوان 1: 91.
(116) المصدر نفسه 1: 92–93.
(117) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 276.
(118) يقول يوسف بكار: "ليس غريبًا أن يهتم نقاد العرب بهذه الأجزاء من هيكل القصيدة كغيرهم من الأمم، وإن كان اهتمامهم نابعًا من طبيعة شعرهم نفسه، ومن القصيدة العربية ذاتها التي وجدوها على هذا الشكل ولم يفكروا في الخروج على منهاجها إلا في القليل النادر(بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث: 237–238).
(119) ت.ح: 235، ت.ع: 230.
(120) ت.ح: 255، ت.ع: 252.
(121) قد يكون القطع نهاية القصيدة فهم يسمون البيت الأخير "المقطع" بإزاء المطلع.(يوسف بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث 230).
(122) الجاحظ: البيان والتبيين 1:112.
(123) ت.ح: 234–235، ت.ع: 229–230.
(124) الجاحظ:البيان والتبيين 1: 116.
(125) ت.ع 184. ت.ح 195.
(126) ت.ح 194.
(127) الجاحظ: المصدر نفسه 1: 65.
(128) أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيني193، هذا الجزء حذف من ترجمة عبد الرحمن بدوي مع أنه موجود في الأصل اليوناني. وت.ع: 198.
(129) ت.ح: 206، ت.ع:198.
(130) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 161–162.
(131) المصدر نفسه 1: 162.
(132) أرسطو: الخطابة ت.ح 196.
(133) نفسه: ت.ح 226.
(134) الجاحظ: البيان والتبيين1: 89–90. أول من تحدث عن هذه الموازنة فيما قرأت زياد الزعبي: التعجيب عند ابن سينا، من كتاب المثاقفة وتحولات المصطلح 138–144.
(135) الجاحظ: الحيوان 6: 16.
(136) موضع ذلك في الحديث عن الكوميديا في الشعر، وهذا الجزء لم يصل إلينا.
(137) أرسطو: الخطابة ت.ح 254–255.
(138) الجاحظ: البيان والتبيين 1: 93.
(139) الجاحظ: الحيوان 1: 37.
(140) الجاحظ: الرسائل 1: 227–278.
(141) الجاحظ: الحيوان 3: 5.
(142) الجاحظ: البيان والتبيين 2: 8.
(143) المصدر نفسه 1: 75.
(144) أرسطو: الخطابة، ت.ح 196.
(145) الجاحظ: المصدر نفسه 4: 55.

(146) ت.ح: 208–209.
(147) ت.ح: 219–223.
(148) ت.ح: 211–214.
(149) قال في موطن آخر: "إنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس". الجاحظ: نفسه 3: 27.
(150) نفسه 3: 28.
(151) نفسه: 3: 29. وانظر: 1: 384–385.
(152) أورده على هذه الشاكلة، "ونحن أبقاك الله إذا ادعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة، من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا على أن ذلك لهم شاهد صادق، من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك، إلا في اليسير والشيء القليل". (عبد القاهر الجرجاني: الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، ضمن كتاب دلائل الإعجاز 3: 576.
(153) المصدر نفسه: 3: 577.
(154) طه حسين: مقدمة نقد النثر 1.

المصادر والمراجع

أمين، أحمد، 1964م، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط7.

ابن بهريز، حدود المنطق، تقديم وتصحيح محمد تقي دانش ثروه، 1357هـ، طهران.

بيلا، شارل، 1962، أصالة الجاحظ، الدار البيضاء، المغرب.

بدوي، عبد الرحمن، 1985، تقويم عام لتحقيق التراث اليوناني المترجم إلى العربية، من أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية، بمناسبة مرور ألف سنة على ميلاد ابن سينا وثلاثة وعشرين قرنًا على وفاة أرسطو، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس 1980، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

البهبيتي، نجيب محمد، 1945، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، مطبعة دار الكتب المصرية.

بكار، يوسف، 2009م، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، بيروت، دار المناهل.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (255هـ)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام هارون، 1987، دار الجيل، بيروت، ط2.

_____، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، 1988م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7.

_____، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 1996م، دار الجيل، بيروت.

_____، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، 1979م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

_____، كتاب التربيع والتدوير، عني بنشره وتحقيقه: شارل بلا، 1955، المعهد الفرنسي، دمشق.

_____، كتاب العثمانية، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، 1991م، دار الجيل، بيروت، ط1.

الجرجاني، عبد القاهر، الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، ضمن كتاب دلائل الإعجاز، تحقيق:محمود محمد شاكر أبو فهر، 1992، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، مج 3.

جدعان، فهمي، 1985م، "داعي المشاكلة في نظرية الحب عند العرب" من كتاب نظرية التراث، دراسات عربية وإسلامية، دار الشروق، عمان، ط1.

الحمد، محمد عبد الحميد، 2001، حوار الأمم، تاريخ الترجمة والإبداع عند العرب والسريان، دار المدى سوريا.

حنين بن إسحق، آداب الفلاسفة، اختصره محمد بن علي الأنصاري، حققه وقدم له وعلّق عليه: عبد الرحمن بدوي، 1985، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط1.

خفاجي، محمد عبد المنعم، 1982، أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الزعبي، زياد، 2007، التعجيب عند ابن سينا، من كتاب المثاقفة وتحولات المصطلح، دراسات في المصطلح النقدي، وزارة الثقافة،الأردن، ط1.

سلامة، إبراهيم، 1952م، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، دراسة تحليلية نقدية تقارنية، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية.

السندوبي، حسن، 1931، أدب الجاحظ، المكتبة التجارية، مصر، ط1.

الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق:محمد سيد كيلاني، 1404 هـ دار المعرفة، بيروت.

الشناوي، عبد العظيم، 1985، النحو والبلاغة العربيان والفكر اليوناني، ضمن أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية بمناسبة مرور ألف سنة على ميلاد ابن سينا وثلاثة وعشرون قرنًا على وفاة أرسطو، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس1980، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

ضيف، شوقي، 1995م، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9.

طاليس، أرسطو، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بدوي، 1979، دار القلم، بيروت.

_____، الخطابة، ترجمه عن اليونانية وقدّم له عبد الرحمن بدوي، 1980، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1.

_____، ترجمة عبد القادر قنيني، 2008م، إفريقيا الشرق، المغرب.
طه حسين، مقدمة كتاب نقد النثر، المنسوب خطأ لقدامة بن جعفر، تحقيق عبد الحميد العبادي، 1980، دار الكتب العلمية، بيروت.
عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط4، بيروت، دار الثقافة.
بو ملحم، علي، 1988م، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة، بيروت، ط2.
العسكري، أبو هلال، ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت، 1990م.
غيّوم، الفريد، الفلسفة وعلم الكلام، من كتاب تراث الإسلام، تأليف جمهرة من المستشرقين، إشراف توماس أرنولد، تعريب وتعليق جرجيس فتح الله، 1972، دار الطليعة ط2.
الفارابي، أبو نصر، كتاب في المنطق الخطابة، تحقيق وتعليق محمد سليم سالم، 1976، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
فرانتز روزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، 1961م، دار الثقافة، بيروت.
الخولي، أمين، 1961م، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، ط1.
مطلوب، أحمد، 1983م، البلاغة عند الجاحظ، دار الشؤون الثقافية بغداد.
الكندي، رسالة الكندي في كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة، ضمن كتاب رسائل الكندي الفلسفية، حققها وأخرجها، محمد عبد الهادي أبو ريدة، 1950، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد في مصر.
نوفل، سيد، 1948م، البلاغة العربية في دور نشأتها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
ناجي، مجيد عبد الحميد، 1976م، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، مطبعة الآداب، النجف.
اليسوعي، فكتور شلحت، 1964م، النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ، القاهرة، دار المعارف.
_____، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، 1961، دار اليقظة العربية، دمشق.
_____، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط13.
_____، 1950م، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
Aristotelis. 1989. Ars Rhetorica, Edidit Adolphus Roemer, Lipsie In Aedibus B.G. Teubneri, Mdccclxxxxv111, Memoriae Leonardi Spengel.
Josef Van. 1970. The logical structure of Islamic theology.logic in classical Islamic culture, edited by g.e.von Grunebaum, Wiesbaden.

Aristotle's Book of Rhetoric and its Effect on Critical and Rhetorical Heritage of the Arabs, Al Jahiz as a Model

*Huda Qazza, Yousif Bakkar, Ziad Zoubi**

ABSTRACT

The impact of the book rhetoric of Aristotle in Heritage cash and rhetorical theme of Ahawk to search; the value of this book, it is still on after Gore time authored fount of ideas value in literary criticism, and many of the ideas presented by Aristotle which still bear the stamp of novelty and feel free to talk critics when deciding assets literary theory, such as the elements of truth literary " writer, text, and the receiver", and the image, and weight and rhythm, and proportionality, and systems, and strangeness, mystery and clarity, this is the thought of the ideas timeless heritage cash are still dealing with the lesson and make up the books.

I do not want these signs summary to stand position colon or analyize to Aristotle's ideas in the book of rhetoric, but Osogaha to indicate the book value stimulate the researcher to follow up on his journeys between the atmosphere different, especially if it was this atmosphere, bigeye and wrote in the statement, rhetoric and criticism.

Bigeye understand how this book? Leave it to understand, but for a sharp imitated in his writings? Or you see the face of the ideas of the book in line with his or her own? Or you see the general understanding of some of his ideas? Or you see did not understand at all? These questions evoke mind. That either may understand the book rhetoric or did not understand it is our duty to examine the image of him, as long as it has known his image. And I mean the lesson here not to stand at the borders of judgment understanding or lack of understanding of the book of the original, but I mean ideas erroneous and deviant and horseshoe as mean ideas correct and original, as long as the perception of the impact of the book in his mind, rather than any I have to ask: I understand or did not understand? I ask: How do you understand? The central question remains: Is the impact of the book in bigeye rhetoric? The manifestation of this effect was that. And be the answer to such a question objective analysis of the texts of bigeye contacted closely in the book of rhetoric and translations.

When determining citizen communication and vulnerability may tend researcher to generalize the absolute or customization absolute, Valtamim absolute was looking, for example, to imagine bigeye rhetoric and its relevance to the book of Aristotle; customization absolute that deals with topics partial wrote bigeye tries statement face contact with this book. And the right approach should not take away researcher a Almnzein or mediating between them, unless Dallah trace on the type of influence and being a part sporadic Oaelia comprehensive or intermediate between that. It remains the ruling in this case is what it takes to Hin collection of bigeye what he wrote in his books, and then organize, then analyzed and studied, and draw conclusions from it, and then show the signals that can be attributed to arrive copywriters rhetoric. Search for stepped problematic affected bigeye rhetoric Aristotle, and after it finished Me a statement knowing bigeye Bionan and eloquent, and logic and rhetoric from the book, and then tried to Acetknah link between the governing text of bigeye and rhetoric from Aristotle through the study of monetary comparison. At the conclusion of the most prominent phrase search results, which showed the nature of this vulnerability and circumstances and extent.

Keywords: Rhetoric, Aristotle, Jahiz, Model.

*The Hashimite University, Zarqa, and Yarmouk University, Irbid, Jordan. Received on 27/5/2012 and Accepted for Publication on 26/2/2013.